العقيدة الصحيحة

(١)

القواعد المثلى
في
صفات الله وأسمائه الحسنى

لمؤلفه الشيخ

محمد بن صالح بن عثيمين

حققه، وخرج أحاديثه

أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مكتبة السنة

الطبعة الثانية لمكتبة السنة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة ــ ٨١ شارع البستان ــ ميدان عابدين (ناصية شارع الجمهورية) ــ الرمز البريدى ١١١١١
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ ــ فاكس : ٣٩٢٦٢٥٠ ــ تلكس : ٢١٧١٩ TLTHRB UN

تقريظ بقلم
الشيخ عبد العزيز بن باز

الحَمْدُ لله والصَّلاة والسَّلام على رَسول الله ، وعلى آله وأَصْحَابه ومَنْ اهتدى بِهُدَاه أَمَّـا بعد :

فقد اطَّلَعْتُ على المؤَلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين في الأسماء والصِّفات وسمَّاه : « **القواعد المُثْلَى في صِفَاتِ الله وأَسْمَائِه الحُسْنَى** »..

وسَمِعْتُه من أَوَّله إلى آخره فأَلْفَيْتُه كتاباً جليلاً قد اشتمل على بيان عقيدة السَّلف الصَّالح في أسماء الله وصِفَاتِهِ ، كما اشتمل على قواعد عظيمة وفوائد جمَّة في باب الأسماء والصِّفات ، وأَوْضَحَ معنى المعيّة الواردة في كتاب الله عزّ وجلَّ الخاصَّة والعامَّة عند أهل السُّنة والجماعة ، وأَنَّها حَقٌّ على حقيقتها لا تَقْتضي امتزاجاً واختلاطاً بالمخلوقين بل هو سبحانه فوق عرشه كما أخبر عن نفسه وكما يليق بجلاله سبحانه وإنما تَقْتَضي عِلْمه واطِّلاعه وَإِحَاطَته بهم وسَمَاعه لأقوالهم وحركاتهم وبَصَره بأَحوالهم وضمائِرهم وحفظه وكلاءته لرُسِلِهِ وأَوليائه المُؤمنين ونَصْرِهِ لهم وتوفيقه لهم إلى غير ذلك مما تَقْتَضِيه المعيّة العامّة والخاصَّة من المعاني الجليلة والحقائق الثَّابتة لله سبحانه ، كما اشتمل على إنكار قول أَهل التَّعطيل والتَّشبيه والتَّمثيل وأَهل الحلول والاتحاد فجزاه الله خيراً وضَاعَفَ مَثُوبته . وزَادنا وإِيَّاه عِلْما وهُدى وتوفيقا ، ونفع بكتابه القرَّاء وسائر المُسْلمين إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه .

قاله ممليه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله .

وصلَّى الله وسَلَّم على نبينا مُحَمَّد وآله وصَحْبِه .

٥ /١١ /١٤٠٤ هـ .

الرَّئيس العام لإدارات البُحُوث العلمية والإفتاء والدَّعوة والإرْشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله نحمده ، ونَسْتعينه ونَسْتغفره ، ونعوذ بالله من شُرور أنْفسنا ومِنْ سيئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلل فلا هادى له ، وأَشْهد أَن لاإله إلَّا الله وَحْده لاشريك له ، وأَشهد أنَّ محمداً عبده ورسولُه .

أمابعــد :

فإن أصدق الحديث كتاب اللهِ تعالى ، وأَحْسن الهدى هدى محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحْدثةٍ بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النَّار .

فهذا كتاب : « القواعد المُثْلى فى صِفَاتِ الله وأَسْمَائه الحُسْنَىٰ » للشيخ محمد الصَّالح العثيمين أقدمه فى ثوبه الجديد إلى جماهير المسلمينليروا فيه صورة مُشرقة لأصلٍ من أُصول العقيدة الإسلامية الصَّحيحة ، أَلَا وهو أَصْلُ الإيمان بصفات الله سُبْحانه وأسمائه الحسنى وإثباتها من غير تَحْريف ولا تَأْويل ولا تَعْطيل .

وليطَّلعوا فيه على طريقة السَّلف فى هذا الباب الهام والتى تبيِّن أَنَّهم أَسْلَم الأمة اعتقاداً ، وأعلمها بالله ودينه وأحكمها منهجاً .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يصفُ طريقتهم فى باب الاعتقاد فيقول : « ومَنْ تَدَبَّر كلام أئمة السُّنة المشاهير فى هذا الباب ، عَلِمَ أَنَّهم كانوا أَدَقَّ الناس نظراً ، وأعلم الناس فى هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول ، وأن أقوالهم هى الموافقة للمَنصوص والمَعْقول ، ولهذا تَأْتَلِفُ ولا تختلف ، وتتوافق ولاتَتَنَاقَض ، والذين خالفوهم لم يفهمواحقيقة أقوال السَّلف والأئمة ، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول ، فتشعَّبَتْ بهم الطُّرق وصاروا مختلفين فى الكتاب ، مخالفين للكتاب وقد قال

تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِى الكِتَاب لفى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٦] » أ . هـ[1]

إنَّ ثمرة الإيمان بهذا الركن الرَّكين والأَصْل العظيم على هذه الطَّريقة المستقيمة ليجدها المؤمن في قلبه حَلاوةً واطمئناناً وسعادةً في الدُّنيا والآخرة .

ولما كان هذا الكتاب قد كُتِبَ بأُسلوب قد خلا من التَّعقيد والحشو وتميَّز بتَقْسِيمَاتٍ بديعة ، ونماذج فريدة من الأَمْثلة التي توضح المقصود بأَوْجز عِبارة مع حسن البَيَان ، وشُمُوله لمعظم قواعد هذا الباب رأى كثير من إخواننا في جميع الأَقطار تدريسه في المساجد وحلقات العلم فأَقْبَلُوا عليه قراءةً وتَدْريساً وتعلُّماً وتعليماً .

لذا رأينا أَنْ نقوم بإخراج هذا السِّفر العظيم في أَحْسن صورة تليق به سَائِلِينَ الله تعالى أَنْ يُلْهمنا الإخلاص في القول والعمل وأَنْ يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنَّه هو العَلِيُّ القدير وبالإجابة جَدير ، والحمد لله رب العالمين .

وصلَّى الله وسَلَّم على نَبِيِّه الأَمين وعَلَى آله وأَصْحَابه والتَّابعين وسَلَّم تَسْليماً .

أشرف بن عبد المقصود

مصر – مدينة الإسماعيلية . غرة المحرم ١٤١٠ هـ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٢/٣٠١) .

منهج تحقيق الكتاب

ويَتَلَخَّص عملنا في هذا الكتاب المبارك النَّافع بإذن الله في الآتي :

١ – تخريج الآيات القرآنية مع وضع التَّخريج بجوار الآية .

٢ – تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب وبيان حالها من حيث الصِّحة أو الضَّعف .

٣ – إذا كان الحديث في الصَّحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما فقط لأن العزو إليهما مُعلِمٌ بالصِّحة كما هي طريقة الحافظ العراقي في تخريج الإحياء .

٤ – تصحيح الأخطاء الطِّباعية التي وجدت في الكتاب والتي ظهرت لنا في الآيات القرآنية بصورة واضحة .

٥ – ضبط وشكل الآيات والأحاديث والآثار والأشعار وما يشكل من عبارات وألفاظ في الكتاب .

٦ – قمنا بتَنْسِيق الكتاب ووضعنا بعض العناوين الإضافية بالإستفادة من الفهرس التفصيلي للكتاب والذي وضعه الشيخ في آخر كتابه .

٧ – عمل فهارس للآيات والأحاديث والآثار .

٨ – علَّقنا على الكتاب ببعض الفوائد الهامَّة .

٩ – توسَّعنا في الكلام على الأحاديث التي هي بمثابة الأَدِلَّة من السُّنة الصَّحيحة على بعض أسماء الله الحُسْنَى ، وكذا نَبَّهنا على ضعف بعض من الأحاديث المُنْتَشِرَة في هذا الباب وهي ضعيفة مثل « حديث الأَوعال » وبَيَّنا ما فيه من ضَعْف .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله نَحْمَدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِره ونَتُوب إليه ونَعُوذ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا ، مَنْ يَهْده الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضْلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تَبِعهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً .

وبعـد :

فَإنَّ الإيمان بأسماءِ الله وصِفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى وهي : الإيمان بوجود الله تعالى ، والإيمان بربوبيته ، والإيمان بألوهيته ، والإيمان بأسمائه وصفاته .

منزلة العلم بأسماء الله وصفاته من الدِّين :

وتوحيد الله به أحد أقسام التَّوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصِّفات .

فمنزلته في الدِّين عالية وأهمِّيته عظيمة ولا يمكن أحداً أنْ يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على عِلْمٍ بأسماءِ الله تَعَالى وصفاته ليعبده على بصيرة قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة .

– فدعاء المسألة : أنْ تقدم بين يدى مطلوبك من أسماءِ الله تعالى ما يكون مُنَاسباً مثل أنْ تقول : « ياغفورُ اغْفِرْ لي ، وَيارَحيم ارْحَمني ، ويا حفيظ احفظني » ونحو ذلك .

– ودعاء العبادة : أنْ تتعبد لله تعالى بِمُقْتَضَى هذه الأسماء فتقوم بالتَّوبة إليه لأنه التَّواب ، وتذكره بلسانك لأنَّه السَّميع ، وتتعبد له بجوارحك لأنَّه البصير ، وتخشاه في السِّر لأنَّه اللَّطيف الخبير وهكذا .

سبب تأليف هذا الكتاب :

ومن أجل منزلته هذه ، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارةً وبالباطل الناشيء عن الجهل أو التَّعصب تارةً أخرى ، أحببت أَنْ أَكْتُبَ فيه ما تَيسَّر من القواعد راجياً من الله تعالى أن يجعل عملي خالِصاً لوجهه موافقاً لمرضاته نافعاً لعباده .

وَسَمَّيْتُه « القَوَاعِدُ المُثْلَى فى صِفَاتِ الله تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى » .

الفصل الأول

قواعد فى أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى :

أسماء الله تعالى كُلّها حُسْنى :

أى : بالغة فى الحُسن غايته قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وذلك لأنها مُتضَمِّنة لصفات كاملة لا نَقْصَ فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً .

مثال ذلك : « **ٱلْحَىُّ** » اسم من أسماء الله تعالى مُتضَمِّن للحياة الكاملة التي لم تُسْبق بعدم ولا يَلْحقُها زوال . الحياة المستلزمة لكمال الصِّفات من العلم والقدرة والسَّمع والبصر وغيرها .

ومثال آخر : « **ٱلْعَلِيمُ** » اسم من أسماء الله مُتَضَمِّن للعلم الكامل الذى لم يُسْبق بجهل ولا يلحقه نِسْيان قال الله تعالى : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] العلم الواسع المحيط بكل شيء جملةً وتفصيلاً سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه قال الله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَاحَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَرَطْبٍ وَلَايَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] . ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] . ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [التغابن : ٤] .

ومثال ثالث : « **الرَّحْمَنُ** » اسم من أسماء الله تعالى مُتَضَمِّن للرحمة الكاملة التى قال عنها رسول الله ﷺ : « لله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا »[1] يعني : أُمّ صبى وجدته في السَّبى فأخذته وألصقته ببطنها وأَرْضَعَتْهُ . ومُتَضَمِّن أيضا للرَّحمة الواسعة التى قال الله عنها : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[الأعراف: ١٥٦] وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً ﴾[غافر : ٧] .

❋ والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فَيَحْصُل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال .

مثال ذلك : « **الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** » فإن الله تعالى يجمع بينهما فى القرآن كثيراً . فيكون كل منهما دَالاًّ على الكمال الخاص الذى يَقْتَضِيه وهو العِزَّة فى العزيز والحُكْم والحِكْمة فى الحكيم والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عِزَّته تعالى مَقْرونة بالحكمة فَعِزَّته لا تَقْتَضِى ظُلْماً وجُوراً وسُوء فعلٍ كما قد يكون من أَعِزَّاء المَخْلُوقين فإنَّ العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فَيَظْلِم ويَجُور ويُسِيءُ التَّصرف . وكذلك حُكْمه تعالى وحِكْمَته مَقْرونان بالعِزِّ الكامل بخلاف حُكْمِ المَخْلوق وحِكْمَتِه فإنَّهما يعتريهما الذُّل .

---

(١) البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتَقْبيله ومُعَانقته . (٥٩٩٩) .
ومسلم : كتاب التَّوبة : باب في سعة رحمة الله وأنَّها سبقت غضبه . (٢٧٥٤) (٢٢) .
من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

القاعدة الثانية :

أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف :

أعلام باعتبار دلالتها على الذّات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني ، وهي بالاعتبار الأول مُترادفة لدلالتها على مُسَمَّى واحد وهو الله عزَّ وجلّ ، وبالاعتبار الثّاني مُتبَاينة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص فـ « الحيُّ العَليم القَدير السَّميع البَصير الرَّحمن الرَّحيم العَزيز الحَكِيم » كلها أسماء لمُسَمَّى واحد وهو الله سُبْحَانه وتعالى لكن معنى الحَيُّ غير معنى العَليم ، ومعنى العَلِيم غير معنى القَدِير ، وهكذا .

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لِدلالة القرآن عليه كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف : ٨] وقوله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف : ٥٨] فإن الآية الثانية دلَّت على أن الرَّحيم هو المُتَّصف بالرَّحمة . ولإجماع أهل اللُّغة والعُرْف أنه لا يقال : عليم إلَّا لمن له عِلْم ولا سَميع إلا لمن له سَمْع ، ولا بصير إلَّالمن له بَصَر وهذا أمر أَبْيَنُ من أن يُحْتَاجُ إلى دليل .

– وبهذا عُلم ضلال من سَلَبُوا أَسماء الله تَعَالى معَانيها من أهل التَّعطيل وقالوا : « إنَّ الله تعالى سميعٌ بلا سمع وبصِير بلا بَصَر وعَزيز بلا عِزّة وهكذا . » وعلَّلوا ذلك بأن ثبوت الصِّفات يَسْتَلزِم تعدد القُدماء . وهذه العلة عليلة بل ميتة لدلالة السَّمع(*) والعقل على بطلانها .

● **أمّا السَّمع** : فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنَّه الواحد الأحد فقال تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۞ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيءُ وَيُعِيدُ ۞ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۞ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۞ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٢ – ١٦] وقال تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۞ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ [الأعلى : ١ – ٥] ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوفٍ واحد ولم يَلْزم من ثبوتها تَعَدُّد القُدَماء .

(*) السَّمع : هو القرآن والسنة وسيمر بك هذا التعبير كثيراً فانتبه له .

● **وأمّا العقل** : فلأن الصّفات ليست ذوات بائنة من الموصُوف حتى يَلْزم من ثُبوتها التّعدد وإنّما هي من صفات من اتّصف بها فهي قائمة به وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته ففيه صفة الوجود وكونه واجب الوُجُود أو ممكن الوجُود وكونه عيناً قائماً بنفسه أو وصفاً في غيره .

– وبهذا أيضا عُلِمَ أنَّ « الدَّهر » ليس من أسماء الله تعالى لأنَّه اسم جامد لا يَتَضَمَّن مَعنى يُلحِقه بالأسماء الحسنى ولأنَّه اسم للوقت والزَّمن قال الله تعالى عن مُنْكري البَعْث : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] يريدون مرور اللّيالي والأيام .

فأما قوله ﷺ : « قال الله عزَّ وجلَّ : يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأَنا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ »[1] فلا يدل على أن الدَّهر من أسماء الله تعالى وذلك أن الذين يَسبُّون الدَّهر إنما يريدون الزَّمان الذي هو مَحَلُّ الحوادث لا يريدون الله تعالى فيكون معنى قوله : « وَأَنَا الدَّهْرُ » ما فسره بقوله : « بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيل والنَّهار » فهو سبحانه خالق الدَّهر وما فيه وقد بيَّن أنَّه يُقَلِّبُ الَّليل والنَّهار وهما الدَّهر ولا يمكن أن يكون المُقَلِّب (بكسر اللام) هو المُقَلَّب (بفتحها) وبهذا تَبَيَّن أنَّه يمتنع أنْ يكون الدَّهر في هذا الحديث مُرَاداً به الله تعالى .

---

(١) البخاري : كتاب التوحيد : باب قوله تعالى: ﴿ يُرِيدونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ ﴾ . (٧٤٩١) .
ومسلم : كتاب الألفاظ من الأدب : باب النهي عن سبِّ الدَّهر . (٢٢٤٦) (٢) .
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فائدة : قال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد (٢ /٣٥٥) : « فسابُّ الدَّهر دائر بين أمرين لابد له من أحدهما : إمَّا سبُّه لله ، أو الشرك به ، فإنه اعتقد أنَّ الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يَسُبُّ مَنْ فعله فقد سَبَّ الله » أ .هـ .

القاعدة الثالثة :

أسْماء الله تعالى إن دلَّت على وصف متعد تضمَّنت ثلاثة أمور :

أحدها : ثُبوت ذلك الإسم لله عَزَّ وجلَّ .

الثَّاني : ثبوت الصِّفة التي تضمَّنها لله عزَّ وجلَّ .

الثالث : ثبوت حكمها ومقتضاها .

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قُطَّاع الطَّريق بالتَّوبة استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٤] لأَنَّ مُقْتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غَفَرَ لهم ذُنُوبهم ورحمهم بإسقاط الحدِّ عنهم .

مثال ذلك : « **السَّميعُ** » يتضمن إثبات السَّميع اسماً لله تعالى وإثبات السَّمع صِفة له وإثبات حكم ذلك ومُقتضَاه وهو أنه يَسْمَعُ السِّرَّ والنَّجوى كما قال تعالى : ﴿ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] وإن دَلَّت على وصف غير مُتَعدٍّ تضمَّنت أمرين :

أحدهما : ثُبوت ذلك الإسم لله عزَّ وجلَّ .

الثاني : ثُبوت الصِّفة التي تضمَّنها لله عز وجلَّ .

مثال ذلك : « **الْحَيُّ** » يتضمن إثبات الحي اسماً لله عزَّ وجلَّ وإثبات الحياة صِفَةً له .

القاعدة الرابعة :

دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتَّضمُّن وبالالتزام :

مثال ذلك : « **الْخالِقُ** » يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق بالمطابقة ويدل على الذَّات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتَّضَمّن ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام .

ولهذا لما ذكر الله خلق السَّموات والأرض قال : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] ودلالة الالتزام مُفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى ووفقه الله تعالى فَهْماً للتلازم فإنه بذلك يحصل من الدَّليل الواحد على مسائل كثيرة .

واعلم أَنَّ اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إذا صحَّ أن يكون لازماً فهو حق وذلك لأَنَّ كلام الله وَرَسُوله حقٌّ ولازم الحق حق ولأَنَّ الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مُراداً .

وأما اللازم من قول أحد سِوى قول الله ورسوله فله ثلاث حالات :

الأولى : أن يذكر للقائل ويلتزم به مثل أن يقول من ينفي الصِّفات الفعلية لمن يثبتها : يلزم من إثباتك الصِّفات الفعلية لله عزَّ وجلَّ أن يكون من أفعاله ما هو حادث فيقول المُثْبتُ : نعم وأنا ألتزم بذلك فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فَعَّالاً لما يريد ولا نَفَادَ لأقواله وأفعاله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ [الكهف : ١٠٩] وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] وحدوث آحاد فعله تعالى لا يَسْتَلْزِم نَقْصًا في حَقِّه .

الحال الثَّانية : أَنْ يذكر له ويمنع التَّلازم بينه وبين قوله . مثل أن يقول النَّافي للصِّفات لمن يُثْبتها : يَلزَمُ من اثباتك أن يكون الله تَعَالَى مُشَابهاً للخلق في صِفَاته ؟

فيقول المُثْبت : لا يلزم ذلك لأَنَّ صفات الخالق مُضَافة إليه لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به كما أنك أَيُّها النافي للصِّفات تُثْبت لله تعالى ذَاتاً وتمنع أن يكون مُشَابهاً للخلق في ذاته فأَيُّ فرق بين الذَّات والصِّفات ؟ وحكم اللَّازم في هاتين الحالين ظاهر .

الحال الثالثة : أَنْ يكون اللَّازم مَسْكُوتا عنه فلا يذكر بالتزام ولا منع فَحُكْمُه في هذه الحال.أن لا يُنْسَب إلى القائل لأَنَّه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التَّلازم ويحتمل لو ذكر له فَتَبيَّن له لُزُومه وبُطْلانه أن يَرْجع عن قوله لأن فساد اللَّازم يَدُلُّ على فساد المَلْزُوم .

وَلِورُودِ هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول .

فإن قيل : إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله ، لزم أن يكون قولاً له لأنَّ ذلك هو الأَصْل لا سيما مع قرب التلازم قلنا : هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذُّهول عن اللازم فقد يَغْفُل أو يَسْهو أو يَنْغَلِق فكره أو يقول القول في مَضَايق المناظرات من غير تَفْكير في لَوَازمه ونحو ذلك .

القاعدة الخامسة :

أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها :

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسُّنة فلا يزَاد فيها ولا يُنْقَصُ ؛ لأنَّ العقل لا يمكنه إدراك ما يَسْتَحِقُّه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النَّص لقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦].وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَم يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] . ولأنَّ تَسْمِيتَه تعالى بما لم يُسَم به نَفْسه أو إنكار ما سَمَّى به نَفْسُه جِناية في حقِّه تَعَالى فوجب سُلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النَّص .

القاعدة السادسة :

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين :

لقوله ﷺ في الحديث المشهور : « أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَو عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلقِكَ أَوْ اسْتأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيبِ عِندَكَ » . الحديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم وهو صحيح[1] .

وما استَأْثَر الله تَعالَى به في علم الغَيبِ لا يمكن أَحداً حصره ولا الإحاطة به .

فأما قوله ﷺ : « إنَّ لله تِسعَة وتِسْعِينَ اسْمًا مائة إلَّا وَاحِداً مَنْ أَحْصَاهَا(*) دَخَلَ الْجَنَّة »[2] فَلاَ يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة : إنَّ أَسْمَاءَ الله تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّة أو نحو ذلك .

إذاً فمعنى الحديث أن هذا العدد من شَأْنه أَنَّ من أحصاه دخل الجنة وعلى هذا فيكون قوله – من أحصاها دخل الجنة – جملة مُكَمِّلَةً لما قبلها ولَيْسَت مُسْتقلة ونظير هذا أن تقول : عِنْدِي مِئة دِرْهم أَعْدَدْتُهَا للصَّدقة فأنه لا يَمْنَع أن يكون عندك دَرَاهم أخرى لم تَعُدَّها للصَّدقة .

ولم يصحُّ عن النَّبي ﷺ تَعْيين هذه الأسماء . والحديث المروي عنه في تعيينها ضَعِيف[3] .

---

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ : جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه أحمد (١ /٣٩٤ ، ٤٥٢) وابن حبان (٢٣٧٢ – موارد) والحاكم في المستدرك (١ /٥١٩) وغيرهم . وصحَّحه الحافظ ابن القيم في شفاء العليل ص (٢٧٤) واستفاض في بيان أهميته والكلام على فوائده في كتابه الفوائد ص (٢٤ : ٢٩) وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٧١٢) والشيخ الألباني في الصَّحيحة (١٩٩) والأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٤ / ١٩٨) .

(٢) البخاري : كتاب الدَّعوات : باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠) .
ومسلم : كتاب الذكر والدُّعاء : باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحْصاها . (٢٦٧٧) (٦) .
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(*) إحصاؤها : حفظها لفظا وفهمها معنى وتمامه أن يتعبد لله تعالى بمقتضاها .

(٣) حديث ضَعِيفٌ : يشير الشيخ العثيمين حفظه الله إلى الحديث الذي رواه الترمذي (٣٥٠٧) وابن حبان =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ص (٣٨٢) جـ (٦) من مجموع ابن قاسم « تَعْيينها ليس من كلام النَّبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه» وقال قبل ذلك ص (٣٧٩) « إن الوليد ذكرها عن بعض شُيوخه الشاميين كما جاء مُفَسَّراً في بعض طُرق حَدِيثه » أ.هـ وقال ابن حجر في فتح الباري ص (٢١٥) جـ (١١) ط السلفية : « ليست العلة عند الشَّيخين (البخاري ومسلم) تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج » أ . هـ .

ولما لم يَصِحُّ تعيينها عن النَّبي ﷺ اختلف السَّلف فيه وروى عنهم في ذلك أنواع . وقد جمعت تِسْعة وتِسْعين اسماً مما ظَهَر لي من كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ .

= (٢٣٨٤) والحاكم (١ /١٦) والبغوي في شرح السُّنة (١٢٥٧) والخطَّابي في شأن الدُّعاء ص (٩٨) والزَّجاج في تفسير أسماء الله الحسنى ص (٢١) من طرق عن صفوان بن صالح الدِّمشقي عن الوليد بن مسلم ثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مائةً إلَّا وَاحِد مَنْ أحصَاهَا دَخَل الجَنَّة » ثم ذكر فيه الأسماء . وقال التِّرمذي : « غريب » . وقال الحاكم : « هذا حديث قد خرَّجاه في الصَّحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه ، والعلة فيه عندهما أنَّ الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره وليس هذا بعلة ... » ثم ذكر له طريقاً آخر فيه سَرْدُ الأسماء من طريق عبد العزيز بن الحُصَيْن عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة به . قال الحافظ في الفتح (١١ / ٢١٥) : « ليست العِلَّة عند الشَّيخين تفرُّد الوليد فقط ، بل الاختلاف فيه ، والاضطراب ، وتدليسه واحتمال الإدراج » أ .هـ وقد أخرجه ابن ماجه (٣٧٦١) من طريق أخرى عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بنحو ما تقدم بزيادة ونقصان . وقال البوصيري : « لم يخرج أحد من الأئمة السِّتة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره غير ابن ماجة والترمذي مع تقديم وتأخير ، وطريق الترمذي أصحُّ شيء في الباب ، وفي إسناد طريق ابن ماجة ضعف لضعف عبد الملك بن محمد الصَّنْعاني » أ .هـ . وقول البوصيري : « طريق التِّرمذي أصح شيء في الباب » لا يعني أنه صحيح بل هو أحسن حالاً من غيره فقط . وقال الحافظ في تخريج الأذكار : « وهذان الطَّريقان يرجعان إلى رواية الأعرج وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء وزيادة ونقص » أ .هـ وقد ضعَّف ابن حزم الأحاديث الواردة في سرد الأسماء كما في الفتح (١١ / ٢١٧) والحق أن الحديث ثابت دون ذكر الأسماء ، وأن ذكر الأسماء فيه مدرج .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢ / ٢٦٩) : « والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أنَّ سَرْد الأسماء في هذا مدرج ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصغاني عن زهير بن محمد أنَّه بَلَغَهُ عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي والله أعلم » أ .هـ وراجع كلام البغوي في شرح السُّنة (٥ /٣٥) . والحديث أشار إلى تضعيفه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٢ / ٧٠٨) وعبد القادر الأرناؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٤ / ١٧٤ ، ١٧٥) .

● **فمن كتاب الله تَعَالى :**

١ - اللهُ ٢ - الأَحَدُ ٣ - الأَعلى ٤ - الأَكْرَمُ ٥ - الإِلَهُ ٦ - الأَوَّلُ
٧ - والآخرُ ٨ - والظَّاهر ٩ - والبَاطِنُ ١٠ - البَارِيءُ ١١ - البَرُّ ١٢ - البَصيرُ
١٣ - التَّوَّابُ ١٤ - الجبَّارُ ١٥ - الحافظُ ١٦ - الحَسِيب ١٧ - الحَفِيظُ ١٨ - الحَفِيُّ
١٩ - الحَقُّ ٢٠ - المُبِينُ ٢١ - الحَكِيمُ ٢٢ - الحَلِيم ٢٣ - الحَمِيدُ ٢٤ - الحَيُّ
٢٥ - القَيُّومُ ٢٦ - الخَبِيرُ ٢٧ - الخَالِقُ ٢٨ - الخَلَّاقُ ٢٩ - الرَّؤُفُ ٣٠ - الرَّحمنُ
٣١ - الرَّحيم ٣٢ - الرَّزاق ٣٣ - الرَّقيبُ ٣٤ - السَّلام ٣٥ - السَّميع ٣٦ - الشَّاكرُ
٣٧ - الشَّكور ٣٨ - الشَّهيد ٣٩ - الصَّمَدُ ٤٠ - العَالِم ٤١ - العَزِيزُ ٤٢ - العَظِيمُ
٤٣ - العَفُوُّ ٣٤ - العَلِيم ٤٥ - العَلِيُّ ٤٦ - الغَفَّارُ ٤٧ - الغَفُور ٤٨ - الغَنِيُّ
٤٩ - الفَتَّاحُ ٥٠ - القَادِرُ ٥١ - القَاهِرُ ٥٢ - القُدُّوسُ ٥٣ - القَدِيرُ ٥٤ - القَرِيبُ
٥٥ - القَوِيُّ ٥٦ - القَهَّار ٥٧ - الكَبِيرُ ٥٨ - الكَرِيمُ ٥٩ - اللَّطِيفُ ٦٠ - المُؤْمِنُ
٦١ - المُتَعَالِي ٦٢ - المُتَكَبِّر ٦٣ - المَتِينُ ٦٤ - المُجِيبُ ٦٥ - المَجِيدُ ٦٦ - المُحِيطُ
٦٧ - المُصَـوِرُ ٦٨ - المُقْتَدر ٦٩ - المُقيتُ ٧٠ - المَلِكُ ٧١ - المَليكُ ٧٢ - المولى
٧٣ - المُهَيْمِنُ ٧٤ - النَّصير ٧٥ - الوَاحدُ ٧٦ - الوَارِثُ ٧٧ - الوَاسعُ ٧٨ - الوَدُودُ
٧٩ - الوَكِيلُ ٨٠ - الوَلِيُّ ٨١ - الوهَّابُ

● **ومن سُنَّة رَسُول الله ﷺ**[1] :

٨٢ - الجَمِيل ٨٣ - الجَوَّاد ٨٤ - الحكم ٨٥ - الحَيُّ ٨٦ - الرَّب
٨٧ - الرَّفيق ٨٨ - السُّبُّوح ٨٩ - السَّيد ٩٠ - الشَّافي ٩١ - الطَّيب
٩٢ - القَابض ٩٣ - البَاسط ٩٤ - المُقَدِّم ٩٥ - المُؤَخِّر ٩٦ - المُحسِن
٩٧ - المُعطِي ٩٨ - المَنَّان ٩٩ - الوِتر

---

(١) وإذا تقرَّر رجحان أن سَرْد الأسماء ليس مرفوعاً فقد اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن من غير تقييد بعدد كما قال الحافظ (١١ / ٢١٧) وذكر هناك طرفاً من أهل العلم وطريقة كل منهم في ذلك ثم قال (١١ / ٢٢١) : « والحوالة على الكتاب العزيز أقرب وقد حصل بحمد الله تتبعها كما قدمته وبقى أن يعمد إلى ما تكرر لفظاً ومعنى من القرآن فيقتصر عليه ويتتبع من الأحاديث الصحيحة تكملة العدة المذكورة فهو نمط آخر من التتبع عسى الله أن يعين عليه بحوله وقوته آمين » أ .هـ . وراجع الفتح حيث ذكر الحافظ الأسماء التي تتبعها أهل العلم =

. . . .

= وكذا من رجع إلى كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص (١٣ : ١٢٠) وجد فيه بغيته من الأدلة القرآنية والأخبار الصحيحة على أسماء الله بطريقة فريدة في التقسيم .

وقد رأيت أن أقوم بتخريج الأحاديث التي أشار إليها الشيخ العثيمين حفظه الله لثمانية عشر اسماً التي قام بتتبعها من السنة لتتم الفائدة ومن أراد شرح أسماء الله الحسنى فليرجع إلى شأن الدعاء للخطابي وكذا تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج وغير ذلك مما صنف في شرح أسماء الله الحسنى .

وأستعين بالله العظيم فأقول :

● **أمَّا اسم الجَمِيل :**

فقد ورد ضمن حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « ... . إنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَال » .

أخرجه مسلم : كتاب الإيمان : باب تحريم الكبر وبيانه (١٤٧) (٩١) .

وفي الباب عن أبي أمامة وابن عمر وجابر وأبي سعيد رضي الله عنهم .

● **وأمَّا اسم الجَوَّاد :**

فيشير الشيخ حفظه الله إلى حديث سعد بن أبي وقَّاص رضى الله عنه مرفوعاً : « إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فتنظفوا .. » الحديث . أخرجه الترمذي (٢٧٩٩) وابن حبان في المجروحين (١ / ٢٧٩) ومن طريقه ابن الجوزي في العلل (٢ / ٢٢٣ - ٢٢٤) . وضعفه الترمذى بقوله : « حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف » وإسناده ضعيف جداً . فخالد بن إلياس متروك الحديث كما في التقريب (١ / ٢١١) .

وقال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الثقات حتى يسبق إلى القلب أنه الواضع لها لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب » . وقال ابن الجوزى : « لا يصح » وأعلَّه بخالد بن إلياس ومع هذا فقد رمز السيوطي لحسنه في الجامع الصغير وتبعه المناوي (٢ / ٢٣١) وهذا تساهل منهما . وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢ / ٩٢) إلا أن هذا الجزء من الحديث : « إنَّ الله جَوَّادٌ يُحِبُّ الجُود » ثابتٌ من طرق أُخرى وله شواهد يتقوَّى بها فمن ذلك :

١ - ما رواه ابن عساكر والضياء كما في الجامع الصغير عن سعد بن أبي وقَّاص مرفوعاً ولفظه : « إنَّ الله كريم يحبُّ الكُرَمَاء ، جوَّادٌ يحبُّ الجودة ، يحبُّ معالى الأمور ويكره سفسافها » وقد صحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٩٦) .

٢ - وماروواه الدُّولابى فى الكنى (٢ / ١٣٧) من طريق عامر بن سعد عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله نظيف يحبُّ النَّظافة ، جواد يحب الجود ، كريم يحب الكرم ، طيب يحب الطيب ... » الحديث . ورجاله ثقات غير أبي الطيب هارون بن محمد وهو ضعيف جداً وراجع حجاب المرأة المسلمة للألبانى ص (١٠١) .

٣ - وأخرج الخرائطى من طريق الحجاج بن أرطاة عن سليمان بن سحيم عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله جوَّاد يحبُّ الجود يحب معالى الأمور ... » هكذا مرسلاً ؛ فإن عبيد الله بن كريز تابعى ثقة ، وأيضاًالحجاج بن أرطأة مدلس وقد عنعنه .

وقد رواه عنه نوح بن أبي مريم موصولاً فقال : عنه عن طلحة بن مصرف عن كريب عن ابن عباس مرفوعاً =

= به . أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٥ / ٢٩) .
وقال الألبانى فى الصحيحة (٤/ ١٧٠) : « وهذا من أوهام نوح أو وضعه فإنَّه كذاب »

● **وأمَّا اسْمُ الحَكَم :**

فيشير الشيخ حفظه الله إلى حديث المقدام بن شريح عن أبيه عن جده هانىء أنَّه لما وفد على النبىﷺ مع قومه سمعهم يُكَنُّونَه بأبى الحكم فدعاه النبىُّ ﷺ فقال : « إن الله هو الحَكَم واليه الحُكْم ... » الحديث .

رواه أبو داود (٤٩٥٥) والنسائىُّ (٨/ ٢٢٦ ، ٢٢٧) والبخارى فى الادب (٨١١) وفى التاريخ الكبير (٨ /٢٢٧ ، ٢٢٨) . وإسناده جيد رجاله ثقات رجال مسلم غير يزيد بن المقدام صدوق كما فى التقريب . وقد صحَّحه الألبانى فى الإرواء (٢٦١٥) والأرناؤوط فى تخريجه لشرح السُّنة للبغوى (١٢/ ٣٤٤) .

● **وأمَّا اسْمُ الحَيِىّ :**

فورد ذلك ضمن حديث سلمان مرفوعاً : « إنَّ الله حَيِىٌّ كريم ، إذاَ رَفَع العبدُ إليه يَدَيْه يَستحى أنْ يردهما صُفْراً » . الحديث . أخرجه أبو داود (١٤٨٨) والترمذى (٣٥٥١) وابن ماجة (٣٨٦٥) وصحَّحه ابن حبان (٢٣٩٩ ، ٢٤٠٠) والحاكم (١/ ٤٩٧) وحسَّنه الحافظ ابن حجر فى الفتح (٤٩٧/١) والبغوى فى شرح السُّنة (٥/ ١٨٦) والأرناؤوط فى تخريجه لشرح السنة والألبانى فى صحيح الجامع (١٧٥٣) . وفى الباب عن يعلى بن أمية مرفوعاً بلفظ : « إنَّ الله حَيِىٌّ سَتِّير يُحب الحياء والستر ... » الحديث . أخرجه أحمد (٢٢٤/٤) وأبو داود (٤٠١٢ ، ٤٠١٣) والنسائىُّ (٢٠٠/١) وصحَّحه الألبانى فى الإرواء (٢٧٩٣) . وفى الباب أيضاً عنْ أنس بلفظ : « إن الله حَيِىٌّ كريم ... » أخرجه الحاكم (١ /٤٩٧ ، ٤٩٨) والبغوى فى شرح السنة (٥/ ١٨٦) وفى إسناده أبان ابن أبى عياش وهو ضعيف .

● **وأمَّا اسْمُ الرَّب :**

فورد ذلك ضمن أحاديث كثيرة ، والشيخ حفظه الله يشير إلى حديث عمرو بن عبسة أنه سمع النبى ﷺ يقول : « أقرب مايكون الرَّبُّ من العبد فى جوف الليل الآخر ... » الحديث . رواه الترمذى (٣٥٧٩) وقال : « حديث حسن صحيح » ، والحاكم (١ /٣٠٩) وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذَّهبى وهو كما قالا .وقد صحَّحه الألبانى فى تخريج الكلم الطيب ص(٤٨)

وفى الباب عن ابن عباس مرفوعاً : « ألا وإنِّى نُهيت أنْ أقرأ القرآن راكعاً وساجداً ، فأمَّا الرُّكوع فعظِّموا فيه الرَّب عزَّ وجلَّ ... » الحديث . رواه مسلم (٤٧٩) (٢٠٧) .

● **وأمَّا اسْمُ الرَّفِيقُ :**

فورد ضمن حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً : « إنَّ الله رَفِيقٌ يحبُّ الرِّفق ... » الحديث . أخرجه مسلم : كتاب البر والصِّلة : باب فضل الرفق (٢٥٩٣) (٧٧) .

وفى الباب عن خالد بن معدان وعبدالله بن مغفل وأبى هريرة وأبى أمامة وأنس رضى الله عنهم .

وليس حديث عائشة عند البخارى فى الصَّحيح كما خرَّجه الشيخ إنما حديث خالد بن معدان هو الذى عند البخارى فى الأدب المفرد وليس الصحيح أيضاً .

● **وأمَّا اسْمُ السُّبُوح :** =

. . . .

= فورد ذلك ضمن حديث عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه وسجوده : « سبُوحٌ قُدُوسٌ ربُّ الملائكة والروح » . أخرجه مسلم : كتاب الصلاة : باب مايقال فى الركوع والسجود (٤٨٧) (٢٢٣) .

• قال الخطابى فى شأن الدُّعاء ص (١٥٤) : « السُّبُوح : المنزه عن كل عيب ، جاء بلفظ فعول من قولك : سبحت الله ، أى : نزَّهته » ، وقال ص (٤٠) : والقدوس : هو الطاهر من العيوب المنزه عن الأنداد » أ .هـ

● **وأمَّا اسْمُ السَّيد :**

يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث عبدالله بن الشَّخير رضى الله عنه قال : انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا فقال : « السَّيِّد الله تبارك وتعالى » رواه أحمد (٤ / ٢٤) وأبو داود (٤٨٠٦) وصحَّحه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٩٤) .

● **وأمَّا اسْمُ الشَّافى :**

فورد ذلك ضمن حديث أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يُعَوِّذُ بعض أهله يمسح بيده اليُمْنى ويقول : « اللَّهُمَّ رب النَّاس أذْهب البأس ، واشف أنت الشافى لاشفاء إلا شفاؤُك ، شفاءً لا يُغادر سقماً » أخرجه البخارى : كتاب الطب : باب رقية النبىﷺ (٥٧٤٢) . ومسلم : كتاب السلام : باب استحباب رقية المريض (٢١٩١) (٤٦) .

● **وأمَّا اسْمُ الطَّيب :**

فورد ذلك ضمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل قال:قال رسول الله ﷺ:« أيُّها النَّاس ! إنَّ الله طيِّبٌ لا يقبل إلَّا طيِّباً ... » الحديث .

رواه مسلم : كتاب الزكاة : باب قبول الصَّدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥) (٦٥) .

● **وأمَّا اسْمَا القَابِض والبَاسِط :**

فقد ورد ضمن حديث أنس رضى الله عنه قال : قال النَّاس : يا رسول الله ! غلا السِّعْرُ ، فَسَعِّرْ لنا ، فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله هو المُسَعِّرُ القابض الباسطُ الرَّازق ، وإنِّى لأرجو الله أن ألقى الله وليس أحد منكم يُطَالبنى بمظلمة فى دمٍ ولا مال » . أخرجه أبو داود (٣٤٥١) والترمذى (١٣١٤) وابن ماجه (٢٢٠٠) والدَّارمى (٢ / ٢٤٩) وأحمد (٣ /١٥٦ ، ٢٨٦) والبيهقى (٦ /٢٩) والطَّبرانى فى الكبير (٢٢ / ١٢٥) من حديث أبي جحيفة رضى الله عنه . وقال الترمذى : «حديث حسنٌ صحيح » . وقال الحافظ في التلخيص (٣ /١٤) : « إسناده صحيح على شرط مسلم » . وقد صحَّحه الألبانى فى غاية المرام (٣٢٣) .

فائـدة : قال الزجاج فى تفسير أسماء الله الحسنى ص (٤٠) : « الأدب في هذين الإسمين ، أن يذكرا معاً ، لأن تمام القدرة بذكرهما معاً ؛ ألا ترى أنك إذا قُلْتَ : إلى فلان قَبْضُ أمْرِى وبَسْطُه ، دَلَّا بمجموعهما أنك تريد جميع أمرك إليه .

وتقول : ليس إليك من أمرى بَسْطٌ ولا قَبْض ، ولا حِلٌّ ولا عقد . أراد ليس إليك منه شيء ، وقال الشاعر :

متـــى لامتـــى أدركتـــمُ لا أبالكـــمُ بأيْديكـمُ اللَّـــذات بَسْطِـيَ أو قَـــبْضِى =

● **وأمَّا اسْمَا المُقَدِّم والمُؤَخِّر :**

فقد وردا في حديث على بن أبي طالب رضى الله عنه فى صفة صلاة رسول الله ﷺ أنه كان يقول من آخر مايقول بين التشهد والتسليم : « اللَّهُمَّ اغفر لى ماقدَّمت وما أَخَّرت ، وماأَسْرَرْتُ وماأَعْلَنت وما أَسْرفت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر لاإله إلا أنت » . رواه مسلم : كتاب المسافرين : باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه . (٧٧١) (٢٠١) .

وفى الباب عن ابن عباس رضى الله عنهما : أخرجه البخارى (١١٢٠) .

● **وأمَّا اسْمُ المُحْسن :**

فقد عزاه الشيخ للطبرانى فى الأوسط وتردد فيه لأنه لم يطَّلع على رواته فى الطبرانى كذا قال . والحق أن الحديث ثابت وقد ورد عن ٠ ع من الصحابة منهم شداد بن أوس وأنس وسمرة .

١ - أما حديث شداد بن أوس : فأخرجه عبد الرَّزاق فى المصنف (٨٦٠٣) وعنه الطبرانى فى الكبير (٧١٢١) قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى أخبرنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى الأشعث الصغانى عن شداد بن أوس قال : حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ مُحْسِنٌ يحبُّ الإحسان فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة ... » الحديث .

وإسناده صحيح . رجاله ثقات كما قال الهيثمى فى المجمع .

وشيخ الطبرانى إسحاق بن إبراهيم الدبرى وثقه الذهبى فى الميزان (١ / ١٨١) وأشار إليه بعلامة (صح) التى تعنى أن العمل جرى على توثيقه .

وقد أخرجه مسلم (١٩٩٥) وأبو داود (٢٧٩٧) والنسائىُ (٧ / ٢٢٧) وابن ماجة (٣١٧٠) وأحمد (٤ / ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥) والدَّارمى (١٩٧٩) والطيالسى (١٧٤٠) والبيهقى (٦ / ١٢٨٠) وابن الجارود (٨٩٩) والطحاوى (٢ / ١٠٥) وعبد الرَّزاق (٨٦٠٤) والبغوى فى شرح السنة (٢٨٧٣) والطبرانى فى الكبير (٧١١٤ ، ٧١١٥ ، ٧١١٦ ، ٧١١٧ ، ٧١١٨ ، ٧١١٩ ، ٧١٢٠ ، ٧١٢٢ ، ٧١٢٣) وليس فيه عندهم جملة : « إن الله عزَّ وجلَّ مُحْسِن ... » .

٢ - أما حديث أنس : فأخرجه ابن أبى عاصم فى الدِّيات ص (٥٦) وابن عدى فى الكامل (٢ / ٣٢٨) وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٢ / ١١٣) من طرق عن محمد بن بلال ثنا عمران عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حكمتم فاعْدِلُوا وإذا قتلْتُم فأَحْسنوا ، فإن الله مُحْسن يحبُّ المحْسِنين » .

قال الألبانى فى الصحيحة (٤٦٩) : « وهذا إسناد جيد رجاله ثقات معروفون غير محمد بن بلال وهو البصرى الكندى قال ابن عدى : أرجو أنه لابأس به ، وقال الحافظ : صدوق يغرب » أ.هـ .

٣ - أما حديث سمرة : فأخرجه ابن عدى فى الكامل بلفظ : « إن الله تعالى محسن فأحسنوا » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصَّغير (١٨١٩) .

وبالجملة فالحديث صحيح ثابت بهذه الرِّوايات والله أعلم . وبهذا يزول التردد الذى عناه الشيخ بقوله : « وإن كان عندنا تردد فى إدخال ... (المحسن) لأننا لم نطَّلع على رواته فى الطَّبرانى » .

● **وأمَّا اسْمُ المُعْطِى :**

. . . .

= يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يُرِدِ الله به خيراً يفقِّه فى الدين ، والله المُعْطِى وأنا القاسم ... » الحديث أخرجه البخارى : كتاب فرض الخُمس : باب قوله تعالى: ﴿ فإنَّ لله خُمسه وللرَّسُولِ ﴾ (٣١١٦)واللفظ له .

وليس عند مسلم فى رواياته كلمة « والله المُعْطِى » وإنما الرواية التى اتفق عليها الشيخان فبلفظ « ويعطى الله » البخارى (٧٣١٢) ومسلم (١٠٣٧) (١٠٠)وفى روايه للبخارى : « والله يعطى » فى كتاب العلم : باب من يرد الله به خيراً (٧١) فالحديث ليس عند مسلم بلفظ « المُعْطِى » وهى محل الشاهد فتنبه لذلك فقد عزاه الشيخ إلى البخارى ومسلم وقد رأيت أن محل الشاهد فى رواية البخارى فقط .

● وأمَّا اسْمُ المَنَّان :

فيشير الشيخ حفظه الله إلى حديث أنس رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلى ثم دعا : « اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنَّان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم ، فقال النبى:ﷺ«لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سُئِل به أعطى » رواه أبو داود (١٤٩٥) والترمذى (٢٥٤٤) والنسائى (٣ / ٥٢) وابن ماجة (٣٨٥٨) وصحّحه ابن حبان (٢٣٨٢ – موارد) والحاكم (١ /٥٠٣ ، ٥٠٤) ووافقه الذهبى . وإسناده صحيح كما قال الأرناؤوط فى تخريج شرح السنة للبغوى (٥ /٣٧) .

فائدة : قال ابن الأثير فى النهاية (٤ / ٣٦٥) : « المنَّان هو المعطى من المنِّ : العطاء ، لامن المنة ، وكثيراً مايرد المن فى كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لايستثيبه ولايطلب الجزاء عليه ، فالمنان من أبنية المبالغة كالسفاك والوهاب » أ .هـ .

● وأمَّا اسْمُ الوتر :

يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ:« لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر » .

أخرجه البخارى : كتاب الدعوات : باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠) .

ومسلم : كتاب الذكر والدعاء .. : باب فى أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧) (٥) .

وفى الباب عن على وابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهم .

(تنبيه)حذفت من الهامش تخريج الشيخ محمد الصالح العثيمين للأحاديث وأشرت إليه ضمناً فى التَّخريجات السَّابقة .

هذا ما اخترناه بالتَّتبُّع واحد وثمانون اسما في كتاب الله تعالى وثمانية عشر اسماً في سُنَّة رسول الله ﷺ وإن كان عندنا تَرَدُّد في إدخال (الحفي) لأنه إنما ورد مقيداً في قوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ إنَّه كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٧] وكذلك (المُحْسنُ) لأننا لم نطلع على رواته في الطَّبراني وقد ذكره شيخ الإسلام من الأَسْماء .

ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافا مثل : « مَالِكُ المُلك ذِي الجَلاَل والإِكْرام » .

القاعدة السابعة :

الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها : وهو أنواع :

الأول : أن يُنكِر شيئاً منها أو مِمّا دلَّت عليه الصِّفات والأَحكام كما فعل أهل التَّعطيل من الجهمية وغيرهم . وإنَّما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دَلَّت عليه من الأحكام والصِّفات اللَّائقة بالله فإنْكار شيء من ذلك مَيْلٌ بها عَمَّا يجب فيها .

الثاني : أن يجعلها دالَّة على صفات تُشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التَّشبيه وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدلَّ عليه النُّصوص بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها .

الثالث : أن يسمِّى الله تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه كتَسمِية النَّصارى له : (الأب) وتسمية الفلاسفة إياه : (العِلَّة الفاعلة) وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية فتَسمِية الله تعالى بما لم يُسَم به نفسه مَيْلٌ بها عمَّا يجب فيها كما أَنَّ هذه الأَسماء التي سَمَّوه بها نفسها باطلة يُنَزَّهُ الله تعالى عنها .

الرابع : أَنْ يشتق من أسمائه أَسماء للأَصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز واشتقاق اللَّات من الإله على أحد القولين فَسَمُّوا بها أَصنامهم وذلك لأن أسماء الله تعالى مُخْتَصَّة به لقوله تعالى : ﴿ وَلله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وقوله : ﴿ الله لَا إِلَه إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه : ٨] وقوله : ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَــوَاتِ والْأَرْضِ ﴾ [الحشر : ٢٤١] فكما اختصَّ بالعبادة وبالأُلوهية الحق وبأنه يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّمَوَاتِ والأَرض فهو مُخْتَصٌّ بالأسماء الحُسْنَى فتَسْمِية غيره بها على الوجه الذي يختصُّ بالله عزَّ وجلَّ مَيْلٌ بها عما يجب فيها .

ومنه ما يكون شِركا أو كفراً حَسْبما تَقْتَضِيه الأدلة الشَّرعية .

الفصل الثاني

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى :

صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه :

كالحَيَاة والعِلم والقُدْرة والسَّمع والبَصَر والرَّحمة والعِزَّة والحكمة والعُلو والعظمة وغير ذلك . وقد دلَّ على هذا السَّمع والعقل والفطرة .

● **أمَّا السَّمع** : فمنه قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى .

● **وأمَّا العقل** : فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص والثَّاني باطل بالنسبة إلى الرَّب الكامل المُسْتَحِق للعبادة ولهذا أظهر الله تعالى بُطْلان ألوهية الأصنام باتِّصافها بالنَّقص والعجز فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ الله مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة وَهُمْ عَن دُعَائِهِم غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُم يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢٠ ، ٢١] وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾ [مريم : ٤٢] وعلى قومه : ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُم أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أَفَلاَ تَعقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧]

ثمَّ إنَّه قد ثَبُتَ بالحسِّ والمشاهدة أنَّ للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فمُعطِي الكمال أَوْلَى به .

● **وأمَّا الفطرة** : فلأن النُّفوس السَّليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته

وهل تُحِبُّ وتُعَظِمُ وتَعْبُدُ إِلَّا من عَلِمت أَنَّه مُتَّصِف بصفات الكمال اللَّائقة بربوبيته وأُلوهيته ؟ .

وإذا كانت الصِّفة نَقْصاً لا كمال فيها فهي مُمْتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل و النسيان والعَجْز والعَمَى والصَّمم ونحوها لقوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] وقوله عن موسى : ﴿ فِي كِتَاب لَايَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾[فاطر: ٤٤] وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [طه : ٥٢] وقوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيهِم يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٠] وقال النَّبي ﷺ في الدَّجال : « إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ »[1] وقال : « أَيُّها النَّاس ارْبعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً »[2] .

وقد عاقب الله تَعَالَى الوَاصِفِين له بالنَّقص كما في قوله تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] وقوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيق ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

ونزَّه نفسه عما يَصِفُونه به من النَّقائص فقال سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالِمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ – ١٨٢] وقال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

---

(١) البخاري : كتاب الفتن : باب ذكر الدَّجال (٧١٣١) .

ومسلم : كتاب الفتن وأشراط السَّاعة : باب ذكر الدَّجال وصفة مامعه (٢٩٣٣) (١٠١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة خيبر (٤٢٠٥) .

ومسلم : كتاب الذكر والدُّعاء : باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤) (٤٤) من حديث أبي موسى =

وإذا كانت الصِّفة كمالاً في حال ونقْصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا مُمْتنعة على سبيل الإطلاق فلا تُثْبَتُ له إثباتاً مُطْلقاً ولا تُنفى عنه نَفْياً مُطْلَقاً بل لا بد من التَّفصيل فتجوز في الحال التي تكون كمالاً وتمتنع في الحال التي تكون نَقْصاً وذلك كالمكر والكَيْد والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أنَّ فاعلها قادر على مقابلة عدوه بِمِثْل فِعْله أو أشَدّ وتكون نَقْصاً في غير هذه الحال ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يُعَاملونه ورُسله بمثلها كقوله تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله والله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٥ ، ١٦] وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كذبوا بآياتنا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُم إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٢ ، ١٨٣] وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] وقوله : ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون . الله يَسْتَهْزِيءُ بِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٤ ، ١٥] .

ولهذا لم يذكر الله أنَّه خان من خانُوه فقال تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا الله مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧١] فقال : ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُم ﴾ ولم يقل : فَخانهم لأن الخيانة خُدعة في مقام الائتمان وهي صفة ذم مطلقاً .

وبذا عُرِفَ أن قول بعض العوام : « خَانَ الله من يَخُون » منكر فاحش يجب النَّهي عنه .

= الأشعري رضي الله عنه .

القاعدة الثانية :

باب الصِّفات أوسع من باب الأسماء :

وذلك لأنَّ كل اسم مُتضَمِّن لصفة كما سبق في القاعدة الثَّالثة من قواعد الأسماء ولأن من الصِّفات ما يتعلق بأفعال الله تَعَالى وأفعاله لا منتهى لها كما أن أقواله لا مُنْتَهَى لها قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّه مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧]

ومن أمثلة ذلك أن من صفات الله تعالى المَجيء والإتيان والأخذ والإمساك والبَطْش إلى غير ذلك من الصِّفات التي لا تُحْصَى كما قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] وقال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] وقال : ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِم ﴾ [آل عمران : ١١] وقال : ﴿ وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [الحج : ٦٥] وقال : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] وقال : ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُم الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] وقال النبي ﷺ : « يَنزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا »[1] .

فَنَصِفُ الله تَعَالى بهذه الصِّفَات على الوجه الوارد ولا نُسَمِّيه بها فلا نقول إن من أسمائه : الجَائيُ وَالآتي والآخذ والمُمسك والبَاطش والمُريد والنَّازل ونحو ذلك وإن كنا نُخْبِر بذلك عنه ونَصِفُه به .

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه الذى أخرجه :

البخارى : كتاب التهجد : باب الدُّعاء والصَّلاة فى آخر الليل (١١٤٥) .

ومسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب فى الدُّعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨) (١٦٨)

وفى الباب : عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أخرجه مسلم (٧٥٨) (١٧٢) .

وراجع لشرح هذا الحديث والكلام عليه باستفاضة « شرح حديث النزول » ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

القاعدة الثالثة :

صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين : ثبوتية وسَلبية :

☐ **فالثبوتية** : ما أثْبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رَسُوله ﷺ وكلها صفات كَمال لا نَقْصَ فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقُدْرة والاستواء على العرش والنُّزول إلى السَّماء الدُّنيا والوجه واليدين ونحو ذلك .

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السَّمع والعقل .

● **أمَّا السمع** : فمنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّه وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّه وَمَلاَئِكتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ١٣٦] فَالْإِيمَان بالله يتضمَّن الإيمان بصفاته والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمَّن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله وكون محمد ﷺ رسوله يتضمَّن الإيمان بكل ما أخبر به عن مُرْسله وهو الله عزَّ وجلَّ .

● **وأمَّا العقل** : فلأن الله تعالى أَخبَر بها عن نفسه وهو أَعلم بها من غيره وأَصدق قيلا وأَحْسن حديثًا من غيره فوجب إثباتها له كما أَخبر بها من غير تردد فإِنَّ التَّردد في الخبر إنَّما يتأَتَّى حين يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل أَو الكذب أَو العيّ بحيث لا يفْصح بما يريد وكل هذه العيوب الثَّلاثة ممتنعة في حق الله عزَّ وجلَّ فوجب قَبول خَبره على ما أُخبر به .

وهكذا نقول فيما أخبر به النَّبى ﷺ عن الله تَعَالى فإنَّ النَّبى ﷺ أَعلم النَّاس بربه وأَصدقهم خَبَراً وأَنْصَحُهم إرادةً وأَفْصَحُهم بياناً فوجب قبول ما أَخْبَرَ به على ما هو عليه .

☐ **والصِّفات السَّلبية** : ما نفاها الله سُبْحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صِفَاتُ نَقْصٍ في حقه كالموت والنَّوم والجهل والنِّسيان والعَجْزِ والتَّعب .

فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل وذلك لأنَّ ما نفاه الله تَعَالى عن نفسه فالمُرَاد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نَفْيه لأنَّ النَّفي ليس بكمال إلَّا أن يتضمَّن ما يدل على الكمال وذلك لأنَّ النَّفي عدم والعدم ليس بشيء فَضْلاً عن أن يكون كمالاً ولأنَّ النَّفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالا كما لو قلت : الجِدار لا يَظْلم . وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نَقْصًا كما في قول الشاعر :

قُبيلَـــةٌ لا يَغْـــدُرونَ بِذِمَّـــةٍ ولا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

وقول الآخر :

لَكِنَّ قَوْمِي وإنْ كَانُوا ذَوِي حَسَبٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ في شَيْءٍ وَإنْ هَانَا

مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّـذِى لَا يَمُـوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] فنفى الموت عنه يَتَضَمَّن كمال حياته .

مثال آخر : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [الكهف : ٤٩] نفى الظلم عنه يتضمَّن كمال عدله .

مثال ثالث : قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٤٤] فنفى العجز عنه يتضمَّن كمال عِلْمه وقدرته ولهذا قال بعده : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر : ٤٤] لأنَّ العجز سَبَبُه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإمَّا قُصُور القدرة عنه فلكمال علم الله تعالى وقُدْرته لم يكن لِيُعْجِزَهُ شيء في السَّمٰواتِ ولا في الأَرْضِ .

وبهذا المثال علمنا أن الصِّفة السَّلبية قد تتضمَّن أكثر من كمال .

القاعدة الرابعة :

الصِّفات الثُّبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر :

ولهذا كانت الصِّفات الثُّبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصِّفات السَّلبية كما هو معلوم .

أما الصِّفات السَّلبية فلم تذكر غالبا إلَّا في الأحوال التالية :

الأولى : بيان عموم كماله كما في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] .

الثانية : نَفْى ما ادَّعاه في حقه الكاذبون كما في قوله : ﴿ أن دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٩١ ، ٩٢] .

الثالثة : دفع تَوَهُّم نَقْص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيَّن كما فى قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [الدخان : ٣٨] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] .

القاعدة الخامسة :

الصِّفات الثُّبوتية تنقسم إلى قسمين :
ذاتية وفعلية :

□ **فالذاتية** : هي التي لم يزل ولا يزال مُتَّصفًا بها كالعلم والقدرة والسَّمع والبصر والعِزَّة والحِكْمَة والعلو والعَظَمة ومنها الصِّفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين .

□ **والفعلية** : هى التى تتعلق بمشيئته إنْ شَاء فَعَلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والنُّزول إلى السَّماء الدنيا .

وقد تكون الصِّفة ذاتِية فِعْلية باعتبارين كالكلام فإنَّه باعتبار أصْله صفة ذاتية لأن الله تَعَالى لم يزل ولا يزالُ مُتَكَلِّماً . وباعتبار آحَاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلَّم متى شَاء بما شَاء كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّمَا أَمْرُهُ إذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يسٓ : ٨٢] . وكل صفة تعلقت بِمَشِيئته تعالى فإنَّها تابعة لحكمته . وقد تكون الحكمة مَعْلومة لنا وقد نَعْجَزُ عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنَّه سبحانه لا يشاء شيئا إلَّا وهو موافق للحكمة كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إلَّا أَن يَشَاءَ الله إنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

القاعدة السادسة :

يلزم في إثبات الصِّفات التَّخلي عن محذورين عظيمين :

أحدهما : التَّمثيل . والثاني : التَّكييف .

□ **فأمَّا التمثيل** : فهو اعتقاد المُثْبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصِفَات المخلوقين وهذا اعتقاد باطل بدليل السَّمع والعقل .

● **أمَّا السَّمع** : فمنه قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُق أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] .

● **وأما العقل** : فمن وجوه :

الأول : أنَّه قد عُلِمَ بالضَّرورة أنَّ بَيْنَ الخالق والمخلوق تَبَايُناً فى الذَّات وهذا يَسْتَلْزِم أن يكون بينهما تَبَايُن في الصِّفات لأنَّ صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر فى صفات المخلوقات المُتَباينة فى الذوات فقوة البَعير مَثَلاً غير قوة الذرة فإذا ظهر التَّباين بين المخلوقات مع اشتراكها فى الإمكان والحُدُوث فظُهور التَّباين بينها وبين الخالق أَجْلَى وأَقْوَى .

الثاني : أَنْ يُقَال كيف يكون الرَّب الخالق الكامل من جميع الوجوه مُشَابهًا فى صفاته للمخلوق فى المَرْبوب النَّاقص المُفْتَقِر إلى من يكمله وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق ؟ فإن تَشْبِيه الكامل بالنَّاقص يجعله نَاقِصاً .

الثالث : أنَّنا نشاهد فى المخلوقات ما يَتَّفق فى الأَسْماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فَنُشَاهد أنَّ للإنسان يَدَاً ليست كيد الفيل وله قوة ليست كقوة الجمل مع الاتِّفاق فى الاسم فهذه يَدٌ وهذه يَدٌ وهذه قُوةٌ وهذه قُوةٌ وبينهما تَبَايُن فى الكيفية والوَصْف فَعُلِمَ بذلك أنَّ الاتِّفاق فى الاسم لا يلزم منه الاتِّفاق فى الحقيقة .

والتَّشبيه كالتَّمثيل وقد يفرق بينهما بأن التَّمثيل التَّسوية فى كل الصِّفات والتَّشبيه التَّسوية فى أكثر الصِّفات لكن التَّعبير بنفى التَّمثيل أولى لموافقة القرآن ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

□ **وأمَّا التَّكييف** : فهو أن يعتقد المُثْبِت أَنَّ كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يُقَيِّدها بِمُمَاثِل . وهذا اعتقاد بَاطِل بدليل السَّمع والعقل :

● **أمَّا السَّمع** : فمنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه : ١١٠] وقوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] ومن المعلوم أنَّه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنَّه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها فيكون تَكْييفنا قَفْواً لما ليس لنا به عِلْم وقولاً بما لا يُمْكننا الإحاطة به .

● **وأمَّا العقل** : فلأن الشَّيء لا تعرف كيفية صِفاته إلَّا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المُسَاوى له أو بالخبر الصَّادق عنه وكل هذه الطُّرق مُنْتَفية فى كيفية صفاتِ الله عزَّ وجلَّ فوجب بُطْلان تكييفها .

وأيضا فإننا نقول : أى كيفية تقدرها لصفات الله تعالى ؟

إن أى كيفية تُقَدِّرُها فى ذِهْنِكَ فالله أَعْظَمُ وأَجَلُّ من ذلك .

وأى كيفية تُقَدِّرُها لصِفَات الله تَعَالى فإنَّك ستكون كاذبًا فيها لأنَّه لا عِلم لك بذلك .

وحينئذ يجبُ الكَفُّ عن التَّكييف تَقْديراً بالجَنَان أو تَقْرِيراً باللِّسَان أو تَحْرِيراً بالبَنَان .

ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] كيف استَوى ؟ أَطْرَقَ رَحمه الله بِرَأْسِهِ حَتى عَلَاه الرُّحْضَاء (العرق) ثم قال : « الاستْواءُ غَيْر مَجْهُولٍ والكيف غَيْر مَعْقُول والإيمانُ به واجِبٌ

والسُّؤال عنه بِدْعَة »[1] وروى عن شيخه ربيعة أيضاً : « الاسْتواء غير مَجْهُول والكَيف غَيْر مَعْقُول »[2] وقد مَشَى أهل العلم بَعْدَهُما على هذا الميزان . وإذا كان الكيف غير معقول و لم يرد به الشَّرع فقد انتفى عنه الدَّليلان العقلى والشَّرعى فوجب الكف عنه .

فالحذر الحذر من التَّكييف أو محاولته فإنَّك إن فعلت وقعت فى مَفَاوز لا تَسْتَطيع الخلاص مِنْها وإن ألقاه الشَّيطان فى قلبك فاعلم أنَّه من نَزَغَاته فالجأ إلى رَبِّك فإنَّه مَعَاذُك وافعل ما أَمَرَك به فإنه طَبِيبُكَ قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] .

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه الذَّهبى فى العلو ص (١٤١ ، ١٤٢) وأبو نعيم فى الحلية (٦ / ٣٢٥ ، ٣٢٦) وعثمان بن سعيد الدَّارمى فى الرد على الجهمية ص (٥٥) ، واللالكائىّ فى شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة (٦٦٤) وأبو عثمان الصابونى فى عقيدة السلف (٢٤ - ٢٦) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٤٠٨) من طرق يقوى بعضها بعضاً وصححه الذهبى فى العلو وكذا قواه الألبانى فى مختصره للعلو . وقال الحافظ فى الفتح (١٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) : « وأخرج البيهقى بسندٍ جيد عن عبدالله بن وهب ...» فذكره .

(٢) **أَثَرٌصَحِيحٌ** :أخرجه الذهبى فى العلو ص (٩٨) بإسناد صحيح عن ربيعة ، وأخرجه من طريق آخر اللالكائىّ (٦٦٥) وابن قدامة فى اثبات صفة العلو (٩٠) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٤٠٨ ، ٤٠٩) .

وعزاه شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتوى الحموية ص (٢٧) إلى الخلال وقال : « بإسناد كلهم أئمة ثقات » أ .هـ وقال فى مجموع الفتاوى (٥ / ٣٦٥) بعد أن ذكر قول مالك : « ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك »أ .هـ

القاعدة السابعة :

صفات الله تعالى تَوْقيفية لا مجال للعقل فيها :

فلا نُثبت لله تعالى من الصِّفات إلا ما دَلَّ الكتاب والسُّنة على ثُبوته قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : « لا يُوصَف الله إلَّا بما وَصَفَ به نَفْسهُ أو وَصَفَه به رَسُوله لا يَتجاوز القُرآن والحَديث » (انظر القاعدة الخامسة فى الأسماء) .

ولدلالة الكتاب والسُّنة على ثبوت الصِّفة ثلاثة أَوْجه :

الأول : التَّصريح بالصِّفة كالعِزَّة والقوة والرَّحمة والبَطْش والوجه واليدين ونحوهما .

الثاني : تَضَمُّن الاسم لها مثل : الغَفُور مُتَضَمِّن للمغفرة والسَّميع مُتَضَمِّن للسَّمع ونحو ذلك . (انظر القاعدة الثَّالثة في الأَسْماء) .

الثالث : التَّصريح بِفِعْلٍ أو وَصْفٍ دَالّ عليها كالاستواء على العرش والنُّزُول إلى السَّماء الدنيا والمَجِيء للفَصْل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين . الدَّال عليها – على التَّرتيب – قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] وقول النَّبى ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » الحديث[1] . وقول الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] وقوله : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] .

(١) حَدِيْث صَحِيحٌ :تقدم تخريجه .

الفصل الثالث

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى :

الأدلة التى تُثْبَتُ بها أَسْماء الله تعالى وصفاته هى كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ :

فلا تُثْبت أَسماء الله وصفاته بغيرهما .

وعلى هذا فما ورد إِثْبَاتُه لله تعالى من ذلك فى الكتاب والسُّنة وَجَبَ إثباته .

وما ورد نَفْيه فيهما وَجَب نفيه مع إثبات كمال ضِده .

ومَالَمْ يَرِدْ إثباته ولا نفيه فيهما وجب التَّوقف فى لفظه فلا يُثْبَتُ ولا يُنْفَى لعدم وُرُود الإثبات والنَّفى فيه .

وأَمَّا معناه فيفصل فيه فإن أُرِيد به حق يَليق بالله تعالى فهو مَقْبول . وإن أُريد به معنى لا يَليق بالله عزَّ وجلَّ وَجَبَ رَدَّه .

* فَمِمَّا ورد إثباته لله تعالى : كُلُّ صفة دلَّ عليها اسم من أسماء الله تعالى دِلالة مُطَابقة أَو تضمّن أَو التزام .

– ومنه : كل صفة دلَّ عليها فعل من أفعاله كالاستواء على العرش والنُّزول إلى السَّماء الدُّنيا والمجىء للفصل بين عباده يوم القيامة ونحو ذلك من أَفعاله التى لا تحصى أنواعها فضلا عن أَفْرَادِها ﴿ وَيَفْعَلُ اللهُ مَايَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

– ومنه : الوجه والعينان واليدان ونحوها .

– ومنه:الكلام والمَشيئة والإرادة بِقِسْمَيْها الكونى والشَّرعى . فالكونية بمعنى المَشيئة والشَّرعية بمعنى المحبَّة .

- ومنه : الرِّضا والمَحَبَّة والغضب والكَرَاهة ونحوها(*) .

* وممَّا ورد نَفْيه عن الله سبحانه لانتفائه وثُبوت كمال ضِده : الموت والنَّوم والسِّنَة والعجز والإعياء والظُّلم والغفلة عن أعمال العباد وأن يكون له مَثِيل أو كُفؤ ونحو ذلك(*) .

* وممَّا لم يَرِد إثباته ولا نَفْيه لفظ (الجهة) فلو سأل سائل هل تُثْبت لله تعالى جهة ؟ قلنا له : لفظ الجهة لم يرد فى الكتاب والسُّنة إثباتاً ولا نفياً ويُغْنى عنه ما ثَبت فيهما من أن الله تعالى فى السَّماء . وأما معناه فإمَّا أَنْ يُرَادُ به جهة سفل أو جهة عُلو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به .

فالأَوَّل : باطل ؛ لمنافاته لعلو الله تعالى الثَّابت بالكتاب والسُّنة والعقل والفطرة والإجماع .

والثَّانى : باطلٌ أَيضاً ؛ لأن الله تعالى أَعظم من أَنْ يُحِيط به شيء من مخلوقاته .

والثَّالث : حَقٌّ ؛ لأن الله تعالى العلىّ فوق خَلْقه ولا يُحِيط به شيء من مخلوقاته .

ودليل هذه القاعدة السَّمع والعقل :

● **فأما السمع** : فمنه قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] وقوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] وقوله : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] وقوله : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩] وقوله : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

إلى غير ذلك من النُّصوص الدَّالة على وجوب الإيمان بما جاء فى القرآن والسُّنة .

(*) أدلة هذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد .

وكل نَصٍّ يَدُلُّ على وجوب الإيمان بما جاء فى القرآن فهو دالٌّ على وجوب الإيمان بما جاء فى السُّنة لأن مما جاء فى القرآن الأمر باتِّباع النَّبى ﷺ والرَّد إليه عند التَّنازع . والرد إليه يكون إليه نفسه فى حياته وإلى سُنَّته بعد وفاته .

فأَيْنَ الإيمانُ بالقُرْآن لمن استكبر عن اتِّباع الرَّسول ﷺ المأمور به فى القرآن ؟

وأَيْنَ الإيمانُ بالقُرْآن لمن لم يَرُدُّ النِّزاع إلى النَّبى ﷺ وقد أَمَرَ الله به فى القرآن ؟

وأين الإيمانُ بالرَّسول الذى أَمَر به القرآن لمن لم يَقْبل ما جاء فى سُنَّته ؟

ولقد قال الله تعالى : ﴿ ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ومن المعلوم أَنَّ كثيراً من أمور الشَّريعة العِلْمِية والعَمَلية جاء بيانها بالسُّنة فيكون بيانها بالسُّنة من تِبيان القُرْآن .

● **وأما العقل** : فنقول إنَّ تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تَعَالى من أُمور الغيب التى لا يمكن إِدْراكها بالعقل فوجب الرُّجوع فيه إلى ما جاء فى الكتاب والسُّنة .

القاعدة الثانية :

الواجب فى نصوص القرآن والسُّنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيما نُصوص الصِّفات حيث لا مَجال للرَّأى فيها :

ودليل ذلك السَّمع والعقل .

● **أمَّا السَّمع** : فقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥] وقوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] وهذا يدلُّ على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللِّسان العربى إلَّا أَنْ يَمْنع منه دَلِيلٌ شرعى .

وقد ذمَّ الله تعالى اليهود على تحريفهم وبَيَّن أنَّهم بتحريفهم من أبعد النَّاس عن الإيمان فقال : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِمَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] وقال تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ الآية [النساء : ٤٦] .

● **وأمَّا العقل** : فَلأَنَّ المُتَكَلِّم بهذه النُّصوص أَعْلَمُ بِمُراده من غيره وقد خاطبنا باللِّسان العربى المُبين فَوَجَبَ قُبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرَّقت الأُمَّة .

القاعدة الثالثة :

ظواهر نصوص الصِّفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر :

فباعتبار المعنى هى معلومة وباعتبار الكيفية التى هى عليها مجهولة .

وقد دَلَّ على ذلك السَّمع والعقل .

● **أمَّا السَّمع** : فمنه قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [صٓ : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] وقوله جلَّ ذكره : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] .

والتَّدبُّر لا يكون إلَّا فيما يمكن الوصُول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه .

وكون القرآن عَرَبِيًّا لِيَعْقِلُه من يَفْهم العربية يَدُلُّ على أن مَعْناه معلوم وإلَّا لما كان فَرْقٌ بين أن يكون باللُّغة العربية أو غيرها .

وَبَيان النَّبى ﷺ القرآن للنَّاس شامل لبيان لَفْظه وبيان مَعْناه .

● **وأما العقل** : فلأنَّ من المُحَال أن يُنَزِّلَ الله تعالى كِتَاباً أو يَتَكلَّم رَسُوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هِدَاية للخلق ويبقى فى أعظم الأُمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التى لا يُفْهم منها شىء لأنَّ ذلك من السَّفه الذى تَأباه حِكْمة الله تعالى وقد قال الله تعالى عن كتابه : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

هذه دلالة السَّمع والعَقْل على عِلْمِنا بمعانى نُصوص الصِّفات .

وأمَّا دِلالتهما على جَهْلنا لها باعتبار الكيفية فقد سبقت فى القاعدة السَّادسة من قواعد الصِّفات .

وبهذا عُلِمَ بطلان مذهب المُفَوِّضَة الذين يُفَوضون علم معانى نصوص الصِّفات ويدَّعون أنَّ هذا مذهب السَّلف . والسَّلف بريئون من هذا المَذْهب وقد تواترت

الأقوال عنهم بإثبات المعانى لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عزَّ وجلَّ .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه المعروف بـ (العقل والنقل) ص (١١٦) جـ (١) المطبوع على هامش (منهاج السُّنة) : « وأما التَّفويض فمن المعلوم أن الله أَمَرنا بتدبُّر القرآن وحَضنّا على عَقْله وفَهْمِه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فَهْمه ومَعْرفته وَعقْله ؟ » إلى أن قال ص (١١٨) : « وحينئذ فَيَكونُ ما وصَفَ الله به نفسه فى القرآن أو كثير مما وَصَفَ الله به نفسه لا يعلم الأنبياء مَعْناه بل يَقُولون كلاماً لا يعقلون مَعْناه »

قال : « ومعلوم أنَّ هذا قَدْح فى القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأَخْبَر أنَّه جعله هُدَى وَبياناً للنَّاس وأَمَرَ الرَّسول أَنْ يُبلغَ البَلاغ المُبين وأن يُبَيِّنَ للنَّاس ما نُزِّلَ إليهم وأَمر بتَدبُّر القرآن وعَقْله ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرَّب عن صفاته ... لا يعلم أحد مَعْناه فلا يعقل ولا يتدبّر ولا يكون الرَّسول بيَّن للناس ما نُزِّلَ إلَيْهم ولا بَلَّغ البلاغ المُبين وعلى هذا التَّقدير فيقول كل مُلْحد ومُبْتَدِع الحق فى نفس الأمر ما علمته بِرَأْيِى وعَقْلى وليس فى النُّصوص ما يُنَاقِضُ ذلك لأنَّ تلك النُّصوص مشكلة مُتَشابهة ولا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَاها وما لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْناه لا يجوز أن يُسْتَدَلُّ به فيبقى هذا الكلام سَدّاً لباب الهُدى والبَيان من جهة الأنبياء وفَتْحاً لباب من يُعَارضهم ويقول : إنَّ الهُدَى والبَيان فى طَريقنا لا فى طريق الأنبياء لأننا نحن نعلم ما نقول ونُبَيِّنُه بالأَدِلَّة العَقْلية والأنبياء لم يَعْلَموا ما يَقُولون فَضْلاً عن أن يُبَيِّنوا مُرادَهم فَتَبَيَّن أن قول أهل التَّفويض الذين يزعمون أنهم مُتَّبعون للسُنَّة والسَّلف من شَرِّ أقوال أهل البِدَع والإلحاد » أ . هـ كلام الشَّيخ وهو كلامٌ سَدِيدٌ من ذى رَأْيٍ رَشيد وما عليه مَزيد رحمه الله تعالى رَحْمَةً واسِعَةً وجمعنا به فى جنَّات النَّعيم .

القاعدة الرابعة :

ظاهر النُّصوص ما يَتَبَادَرُ منها إلى الذِّهن من المعانى وهو يختلف بحسب السِّياق وما يُضَاف إليه الكلام :

فالكلمة الواحدة يكون لها مَعْنى فى سياق ومعنى آخر فى سياق . وتركيب الكلام يُفِيد مَعْنَى على وجه وَمعنًى آخر على وجه .

فلفظ (القرية) مَثَلاً يُرَادُ به القَوْم تَارَة ومَسَاكِن القوم تارةً أُخْرى .

فمن الأَوَّل قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً ﴾ [الإسراء : ٥٨] .

ومن الثَّانى قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم : ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت : ٣١] .

وتقول : صنعت هذا بيدى فلا تكون اليد كاليد فى قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [صٓ : ٧٥] لأن اليد فى المثال أُضِيفت إلى المَخْلوق فتكون مُناسبة له وفى الآية أضيفت إلى الخَالِق فتكون لائِقة به فلا أَحَدٌ سَلِيم الفطرة صَرِيح العقل يَعْتَقِد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس .

وتقول : ما عندك إلَّا زَيدٌ ، وما زيد إلَّا عندك فتفيد الجملة الثانية مَعْنى غير ما تفيده الأولى مع اتِّحاد الكلمات لكن اختلف التَّركيب فتغيَّر المَعْنى به .

إذا تَقَرَّرَ هذا فظاهر نُصُوص الصِّفات ما يَتَبَادَرُ منها إلى الذِّهن من المعانى .

وقد انقسم النَّاس فيه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من جعلوا الظَّاهر المُتَبَادَر منها معنى حقاً يَلِيقُ بالله عزَّ وجلَّ وأبقوا دِلَالَتها على ذلك وهؤلاء هم السَّلف الَّذين اجتمعوا على ما كان عليه النَّبى ﷺ وأَصْحابه والَّذين لا يَصْدق لَقَبُ أهل السُّنة والجماعة إلَّا عليهم .

وقد أَجْمَعُوا على ذلك كما نقله ابن عبد البر فقال : « أَهْلُ السُّنة مُجْمِعُونَ على الإقرار

بالصِّفات الوَارِدة كلها فى القرآن والسُّنة والإيمانُ بها وحَمْلِها على الحقيقة لا على المجاز إِلَّا أَنَّهم لا يُكَيِّفُون شَيْئًا من ذَلك ولا يحدون فيه صفة مَحْصُورة » أهـ وقال القاضى أبو يعلى فى كتاب إبطال التأويل : « لا يَجُوزُ رَدُّ هذه الأخبار ولا التَّشَاغُل بتَأْويلها والواجب حَمْلَهَا على ظَاهِرها وأَنَّها صفات الله لا تُشْبه صِفَاتُ سائر المَوْصُوفين بها من الخلق ولا يعتقد التَّشبيه فيها لَكن عَلَى ما روى عن الإمام أحمد وسَائِر الأئمة » أهـ نقل ذلك عن ابن عبد البر والقَاضى شَيْخ الإسلام ابن تيمية فى الفتوى الحموية ص (٨٧ – ٨٩) جـ (٥) من مجموع الفَتَاوى لابن القاسم .

وهذا هو المَذْهب الصَّحيح والطَّريق القويم الحكيم وذلك لوجهين :

الأَول : أَنَّه تطبيق تام لما دل عليه الكِتَابُ والسُّنة من وجوب الأَخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يُعْلم ذلك من تَتبعه بِعِلْم وإِنْصَاف .

الثَّاني : أَنْ يُقَالَ إِنَّ الحق إِمَّا أن يكون فيما قاله السَّلف أو فيما قاله غيرهم والثَّانى باطل لأَنَّه يلزم منه أن يكون السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تَصْريحا أو ظاهرا ولم يتكلموا مرة واحدة لاتصريحا ولا ظاهرا بالحق الذى يجب اعْتقَاده . وهذا يَسْتَلْزِم أن يكونوا إما جاهلين بالحق وإِمَّا عَالِمين به لكن كتموه وكلاهما باطل وبُطْلان الَّلازم يَدُلُّ على بُطلان الملزوم فَتعيَّن أن يكون الحقُّ فيما قاله السَّلف دون غيرهم .

القسم الثَّاني : من جعلوا الظَّاهر المُتَبَادر من نُصُوص الصِّفات معنى باطلا لا يليق بالله وهو التَّشبيه وأبقوا دلالتها على ذلك . وهؤلاء هم المُشَبِّهة ومَذْهبهم باطل مُحَرَّم من عدة أوجه .

الأَوَّل : أَنَّه جناية على النُّصوص وتَعْطِيل لها عن المُرَاد بها فكيف يكون المراد بها التّشبيه وقد قال الله تَعَالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾[الشورى : ١١] .

الثَّاني : أَنَّ العقل دَلَّ على مُبَاينة الخَالق للمخلوق فى الذَّات والصِّفات فكيف يُحْكَمُ بِدِلالة النُّصوص على التَّشابه بينهما ؟

الثّالث : أن هذا المفهوم الذى فهمه المُشَبِّه من النُّصوص مُخَالف لما فهمه السَّلف منها فيكون باطلا .

فإن قال المُشَبِّه أنا لا أَعقل من نزول الله ويده إلا مثل ماللمخلوق من ذلك والله تَعَالى لم يُخَاطبنا إلَّا بما نعرفه ونعقله فجوابه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الذى خاطبنا بذلك هو الَّذى قال عن نَفْسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى : ١١] ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال أو يجعلوا له أندادا فقال : ﴿ فَلاَتَضْرِبُوا لله الْأَمْثَالَ إِنَّ الله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[النحل : ٧٤] وقال :﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَندَادا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :٢٢] . وكلامه تعالى كله حق يُصَدِّقُ بَعْضَه بَعْضا ولا يتناقض .

ثانيها : أَنْ يُقال له أَلَسْتَ تعقل لله ذاتا لا تُشْبِه الذَّوات فسيقول بلى فيقال له فلتعقل له صِفَات لا تُشْبه الصِّفات فإن القول فى الصِّفات كالقول فى الذَّات ومن فرَّق بينهما فقد تَنَاقض .

ثالثهـا : أَنْ يُقال أَلَسْتَ تُشَاهد فى المخلوقات ما يَتَّفق في الأَسْماء ويختلف فى الحقيقة والكيفية فسيقول بَلَى فيقال له إذا عقلت التَّباين بين المخلوقات فى هذا فلماذا لا تَعْقله بين الخالق والمخلوق مع أَنَّ التَّباين بين الخالق والمخلوق أَظْهَرُ وأَعْظَمُ بل التَّماثُل مُستَحِيل بين الخالق والمخلوق كما سبق فى القاعدة السَّادسة من قواعد الصِّفات .

القسم الثالث : من جعلوا المعنى المُتبادر من نصوص الصِّفات معنى باطلاً لا يليق بالله وهو التَّشبيه ثُمَّ إنَّهُم من أَجْل ذلك أَنْكَروا ما دلَّت عليه من المعنى الَّلائق بالله وهم أهل التَّعطيل سواء كان تعطيلهم عاما فى الأسماء والصِّفات أَمْ خاصًّا فيهما أو فى أحدهما فهؤلاء صرفوا النُّصوص عن ظاهرها إلى معانى عَيَّنوها بعقولهم واضطربوا فى تَعْيينها اضْطراباً كثيرا وسَمَّواْ ذلك تَأْويلاً وهو فى الحقيقة تحريف .

ومَذْهبهم باطل من وجوه :

أحدها : أَنَّه جناية على النُّصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله

ولا مُراد له .

الوجه الثاني : أنَّه صرْفٌ لكلام الله تَعَالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره . والله تعالى خَاطَب النَّاس بِلِسان عربى مُبِين لِيَعقلوا الكلام ويفهموه على ما يَقْتَضِيه هذا اللِّسان العربى والنَّبى ﷺ خاطبهم بأفْصَح لِسَان البَشَر فَوَجَبَ حَمْلُ كَلاَم الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللِّسان العربى غير أنَّه يجب أن يُصَان عن التَّكييف والتَّمثيل فى حق الله عزَّ وجلَّ .

الوجه الثالث : أنَّ صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يُخَالفه قول على الله بلا عِلْم وهو مُحَرَّم لقوله تَعالَى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْم وَالْبَغْى بِغَيْرِ الْحقِّ وأَن تُشرِكُوا بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُون ﴾ [الأعراف : ٣٣] ولقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

فالصَّارف لكلام الله تَعَالى وَرَسُوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم وقال على الله ما لاَ يَعْلم من وجهين :

الأول : أنَّه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا مع أنَّه ظاهر الكلام .

الثاني : أنَّه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام .

وإذا كان من المعلوم أنَّ تعيين أَحَدُ المعنيين المُتساويين فى الاحتال قولا بلا علم فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام ؟

مثال ذلك : قوله تعالى لإبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدىَّ ﴾ [صٓ : ٧٥] فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال : لم يرد باليدين الحقيقيتين وإنما أَرَاد كذا وكذا قلنا له : ما دليلك على ما نفيت وما دليلك على ما أثْبَتَّ فإن أتى بدليل – وأنى له ذلك – وإلا كان قائلا على الله بلا علْم في نفيه وإثباته .

الوجه الرابع : فى إبطال مَذْهب أهل التَّعطيل أنَّ صرف نصوص الصِّفات عن ظاهرها مُخَالف لما كان عليه النَّبى ﷺ وأصحابه وسَلَفُ الأمة وأَئِمَّتها فيكون باطلاً لأنَّ الحق بلا ريب فيما كان عليه النَّبى ﷺ وأَصْحابه وسلف الأمة وأئمَّتها .

الوجه الخامس : أن يُقَال للمُعَطِّل :

هل أَنْتَ أَعْلَمُ بالله من نَفْسِه ؟ فسيقول : لا .

ثُمَّ يُقَال له : هل ما أخبر الله به عن نفسه صِدْقٌ وَحَقٌّ ؟ فسيقول : نعم .

ثُمَّ يُقَال له : هل تَعْلَم كلاما أَفْصح وأَبْيَن من كلام الله تَعَالى ؟ فسيقول : لا .

ثُمَّ يُقَال له : هل تَظُنُّ أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعمى الحق على الخلق فى هذه النُّصوص ليَسْتَخرجُوه بعقولهم ؟ فسيقول : لا .

هذا ما يُقالُ له باعتبار ما جاء فى القُرْآن

أما باعتبار ما جاء فى السُّنة فيقال له :

هل أنت أعلم بالله من رَسُوله ﷺ ؟ فسيقول : لا .

ثُمَّ يُقَال له : هل ما أَخْبَر به رسول الله ﷺ عن الله صِدقٌ وحَقٌّ ؟ فسيقول : نعم .

ثُمَّ يُقَال له : هل تعلم أَنَّ أَحَداً من النَّاس أَفْصَح كلاماً وأَبْيَنَ من رَسُول الله ﷺ ؟ فسيقول : لا .

ثُمَّ يقال له : هل تعلم أن أحدا من النَّاس أَنْصَحَ لِعِبَاد الله من رَسُول الله ﷺ ؟ فسيقول : لا .

فَيُقَال له : إذا كنت تُقِرُّ بذلك فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشَّجاعة فى إثبات ما أَثْبَتَهُ الله تعالى لنفسه وأَثْبَتَهُ له رَسُوله ﷺ على حَقِيقته وظَاهره اللَّائق بالله ؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشَّجاعة في نفى حقيقته تلك وصَرْفه إلى مَعْنى يُخَالف ظاهره بغير علم ؟

وماذا يضيرك إذَا أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه فى كتابه أو سُنَّة نبيه ﷺ على الوجه اللَّائق به فأخذت بما جاء فى الكتاب والسُّنة إثباتاً ونفياً ؟ .

أفليس هذا أَسْلَمُ لك وأقوم لجوابك إذا سُئِلْتَ يوم القيامة : ﴿ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرسَلِينَ ﴾ [القصص : ٦٥] .

أَوَ لَيْسَ صَرْفُكَ لهذه النُّصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مُخَاطرة منك فلعل المراد يكون – على تقدير جواز صرفها – غير ما صرفتها إليه .

الوجه السَّادس : فى إبطال مذهب أَهل التَّعطيل : أَنَّه يَلْزَمُ عليه لوازم باطلة وبطلان اللَّازم يدل على بُطْلان الملزوم .

فمن هذه اللوازم :

أولاً : أَنَّ أهل التَّعطيل لم يَصْرِفوا نُصُوص الصِّفات عن ظاهرها إِلَّا حيث اعتقدوا أنه مُسْتَلْزِمٌ أو مُوهم لتشبيه الله تعالى بخلقه وتَشبيه الله تعالى بخلقه كُفْر لأنه تكذيب لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] قال نعيم بن حماد الخزاعى أحد مشايخ البخارى رحمهما الله : « وَمَنْ شَبَّه الله بِخَلْقِهِ فَقَد كَفَرَ وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ الله به نَفْسَهُ فَقَد كَفَر وَلَيْسَ مَا وَصَفَ الله بِه نَفْسَهُ وَلاَ رَسُولُه تَشْبِيها » أ.هـ[1] .

ومن المعلوم أَنَّ من أَبْطَل البَاطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ تَشْبِيهاً وكُفْراً أو مُوهماً لذلك .

ثانياً : أن كتاب الله تعالى الذى أنزله تِبْيَاناً لكل شيء وهدى للنَّاس وشفاء لما فى الصُّدور ونوراً مُبيناً وفُرْقَاناً بين الحق والباطل لم يبين الله تعالى فيه ما يَجب على العباد اعتقاده فى أَسْمائه وصِفَاته وإنما جعل ذلك مَوْكُولاً إلى عقولهم يُثْبِتُون لله مَا يَشَاؤُون وَيِنْكِرُونَ ما لا يُرِيدُون . وهذا ظاهر البُطْلان .

ثالثاً : أَنَّ النَّبى ﷺ وخلفاءه الرَّاشدين وأَصْحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين

---

(١) أَثَرٌ صَحِيحٌ :أخرجه الذهبى فى العلو بإسنادٍ صحيحٍ وصحَّحه الألبانى فى مختصره للعلو ص (١٨٤) .

أو مُقصِّرين فى معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصِّفات أو يَمتَنِع عليه أو يجوز إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التَّعطيل فى صفات الله تعالى وسموه تأويلاً .

وحينئذ إما أن يكون النَّبى ﷺ وخلفاؤه الرَّاشدون وسلف الأمة وأئمتها قاصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته أو مُقَصِّرين لعدم بيانهم للأمَّة وكِلا الأمرين باطل .

رابعاً : أنَّ كلام الله وَرَسُوله ليس مَرْجِعاً للنَّاس فيما يعتقدونه فى ربهم وإلههم الذى معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشَّرائع بل هو زُبْدة الرسالات وإنما المرجع تلك العقول المُضطربة المتناقضة وما خالفها فسبيله التَّكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً أو التَّحريف الذى يسمونه تأْويلاً إن لم يَتَمَكَّنُوا من تَكْذِيبه .

خامساً : أنه يلزم منه جواز نفى ما أثبته الله ورسوله ﷺ فيقال فى قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] إنه لا يجيء وفى قوله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا إلى السَّمَاء الدُّنيا» إنه لا ينزل لأنَّ إسناد المجيء والنُّزول إلى الله مجاز عندهم ، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صِحَّة نَفْيه ونفى ما أثبته الله ورسوله من أبطل الباطل ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره لأنه ليس فى السِّياق ما يَدُلُّ عليه .

ثُمَّ إنَّ من أَهل التَّعطيل من طرد قاعدته فى جميع الصِّفات أو تَعَدَّى إلى الأسماء أيضا ومنهم من تناقض فَأَثْبَتَ بعض الصِّفات دون بعض كالأَشْعَرية والماتريدية . أثبتوا ما أَثْبَتُوه بحجة أن العقل يدل عليه ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل يَنْفِيه أو لا يدل عليه .

فنقول لهم نفيكم لما نفيتموه بحجة أَنَّ العقل لا يدل عليه يمكن إثباته بالطَّريق العقلى الذى أثبتم به ما أثبتموه كما هو ثابت بالدَّليل السَّمعي .

مثال ذلك : أنهم أثبتوا صفة الإرادة ونفوا صفة الرَّحمة .

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السَّمع والعقل عليها .

- **أما السَّمع** : فمنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .
- **وأما العقل** : فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو

وصف دليل على الإرادة .

ونفوا الرَّحمة قالوا : لأنها تَسْتَلْزِم لين الرَّاحم ورقته للمرحوم وهذا مُحال فى حق الله تعالى .

وأَوَّلوا الأدلة السَّمعية المثبتة للرَّحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل فـ سَّـرُوا الرَّحيم بالمُنْعِم أو مُريد الإنْعام .

فنقول لهم : الرَّحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السَّمعية وأدلة ثبوتها أكثر عدداً وَتَنوعاً من أَدِلَّة الإرادة . فقد وردت بالاسم مثل : ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١] والصفة مثل : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف : ٥٨] والفعل مثل : ﴿ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴾ [العنكبوت : ٢١] .

ويُمْكِنُ إثبَاتها بالعَقْلِ فإن النِّعم التى تَتْرَى على العباد من كل وجه والنِّقم التى تدفع عنهم فى كل حين دالة على ثُبوت الرَّحمة لله عزَّ وجلَّ ودلالتها على ذلك أَبْيَن وأَجْلَى من دِلالة التَّخصِيص على الإرادة لظهور ذلك للخاصَّة والعامَّة بخلاف دِلالة التَّخصيص على الإرادة فإنَّه لا يظهر إلا لأَفْرادٍ من النَّاس .

وأَمَّا نفيها بحجَّة أَنَّها تستلزم اللِّين والرِّقة فجوابه أَنَّ هذه الحجة لو كانت مُسْتَقِيمة لأمكن نفى الإرادة بمثلها فيُقال : الإرادة ميل المُرِيد إلى ما يرجو به حصول مَنْفعة أو دفع مضرة وهذا يَسْتَلزم الحاجة والله تعالى مُنَزَّه عن ذلك .

فإن أُجيب بأن هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب بمثله فى الرَّحمة بأن الرَّحمة المُسْتَلْزِمة للنقص هى رحمة المخلوق .

وبهذا تبيَّن بطلان مذهب أهل التَّعطيل سواء كان تعطيلاً عاماً أم خاصّاً .

وبه عُلمَ أن طريق الأشاعرة والماتريدية فى أسماء الله وصفاته وما احتجُّوا به لذلك لا تندفع به شُبَه المعتزلة والجهمية وذلك من وجهين :

أحدهما : أنَّه طريق مُبْتَدَع لم يكن عليه النبى ﷺ ولا سلف الأمة وأئمتها والبدعة لا تُدْفع بالبدعة وإنَّما تدفع بالسُّنة .

الثاني : أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجُّوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احتج به الأشَاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السُّنة فيقولون : لقد أَبَحْتُم لأنفسكم نفى ما نَفيتُم من الصِّفات بما زعمتُموه دليلاً عقلياً وأَوَّلتُم دليله السَّمعى فلماذا تحرِّمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقليا ونؤل دليله السَّمعى فلنا عقول كما أن لكم عقولاً فإن كانت عقولنا خاطئه فكيف كانت عقولكم صَائِبة وإن كانت عُقُولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خَاطِئة وليس لكم حجة فى الإنكار علينا سوى مجرد التَّحكم واتِّباع الهوى .

وهذه حجة دَامِغة والزامٌ صَحِيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية ولا مَدفع لذلك ولا مَحِيص عنه إِلَّا بالرُّجوع لمذهب السَّلف الذين يطردون هذا الباب ويُثبتُون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أَثْبَتَهُ لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ إِثْبَاتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف وتنزيهاً لا تعطيل فيه ولا تحريف ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نُور .

(تنبيه) علم ممَّا سبق أن كل مُعَطِّل مُمَثِّل وكل مُمَثِّل مَعَطِّل .

أَمَّا تعطيل المُعَطِّل فظاهر وَأَمَّا تمثيله فلأنه إِنَّما عَطَّل لاعتقاده أَنَّ إثبات الصِّفات يَسْتَلْزِم التَّشبيه فمثَّل أَوّلاً وعطَّل ثَانِياً كما أَنَّه بتعطيله مثَّله بالنَّاقص .

وَأَمَّا تمثيل المُمَثِّل فظاهر وأَمَّا تعطيله فمن ثلاثة أوجه :

الأول : أَنَّه عطَّل نفس النَّص الذى أثبت به الصِّفة حيث جعله دالا على التَّمثيل مع أنه لا دِلاَلَة فيه عليه وإِنَّما يدلُّ على صفة تليق بالله عزَّ وجلَّ .

الثاني : أَنَّه عَطَّل كل نَص يَدُلُّ على نفى مُمَاثلَة الله لِخَلقِهِ .

الثالث : أَنَّه عطَّل الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثَّلَهُ بالمخلوق النَّاقص .

الفصل الرابع
شبهات والجواب عنها

اعلم أنَّ بعض أهل التأويل أورد على أهل السُّنة شبهة في نصوص من الكتاب والسُّنَّة فى الصِّفات ادَّعى أن أهل السُّنة صرفوها عن ظاهرها ليُلزِم أهْل السُّنَّة بالموافقة على التَّأوِيل أو المُدَاهَنة فيه وقال : كيف تُنْكرون علينا تَأوِيل ما أوَّلناه مع ارتكابكم لمثله فيما أوَّلْتُموه ؟ .

ونحن نجيب – بعون الله تعالى – عن هذه الشُّبهة بجوابين مُجْمَل ومُفَصَّل .

أمَّا المُجْمَل فيتلخص فى شيئين :

أحدهما : أن لا نُسلِّم أن تَفْسير السَّلف لها صَرْفٌ عن ظاهرها فإن ظاهر الكلام ما يتبادَرُ منه من المعنى وهو يختلف بحسب السِّياق وما يُضَاف إليه الكلام فإنَّ الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام والكلام مركَّب من كلمات وجُمل يظهر معناها ويتعيَّن بضم بعضها إلى بعض .

ثانيهما : أنَّنا لو سلمنا أن تفسيرهم صَرْفٌ عن ظاهرها فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسُّنة إمَّا مُتَّصِلاً وإمَّا مُنْفَصِلاً وليس لمجرد شبهات يزعمها الصَّارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفى ما أثبته الله لنفسه فى كتابه أو على لسان رَسُوله ﷺ .

وأمَّا المَفصَّل فَعَلَى كُلِّ نَص ادُّعِيَ أنَّ السَّلف صَرَفُوه عن ظَاهره .

ولنُمثِّل بالأمثلة التَّالية فنبدأ بما حكاه أبُو حامد الغزالى عن بعض الحنبلية أنَّه قال : إن أحمد لم يتأول إلَّا فى ثلاثة أشْياء : « الحَجَر الأَسْوَد يَمِين اللهِ فِي الأَرْض » « وَقُلُوب العِبَاد بَيْن أصْبعَين من أَصَابع الرَّحمن » « وإنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَن مِنْ قِبَل اليَمَن » .

نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ص (٣٩٨) جـ (٥) : من مجموع الفتاوى وقال : « هذه الحكاية كَذِب على أحمد » .

□ **المثال الأول :**

« الحَجَرُ الأَسْوَد يَمِينُ الله فى الأَرْض »[1]

والجواب عنه: أنَّه حديث باطل لا تَثْبت عن النَّبى ﷺ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية : « هذا حَدِيث لاَ يَصِحُّ » وقال ابن العربي : « حديثٌ باطلٌ فلا يُلْتَفَت إِلَيْه » وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « رُوِى عن النَّبي ﷺ بإسنادٍ لا يَثْبُت أ .هـ وعلى هذا فلا حاجة للخوض فى معناه » .

لكن قال شخ الإسلام ابن تيمية : « والمشهور يعنى فى هذا الأَثر إنَّما هو عن ابن عباس قال : « الْحَجَر الأَسْوَدُ يَمِينُ الله فى الأَرْضِ فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ الله وقَبَّل يَمِينه »[2] ومن تدبَّر اللفظ المنقول تبيَّن له أنَّه لا إشكال فيه فإنه قال : « يَمِين الله في الأَرض » ولم يطلق فيقول : « يَمِين الله » وحُكْم اللفظ المقيَّد يُخالف حكم المطلق ثمَّ قال : « فمن صافحه وقبَّله فكأنَّما صافح الله وقبَّل يمينه » وهذا صريح فى أنَّ المُصَافِح لم يُصَافِح يمين الله أَصْلاً ولكن شبه بمن يُصَافح الله فأوَّل

(١) **حَدِيثٌ ضَعِيفٌ** :أخرجه الخطيب فى تاريخه (٦ / ٣٢٨) وابن عدى فى الكامل (٢ / ١٧) وعزاه الألبانى فى الضعيفة (١ / ٢٥٧) لأبى بكر بن خلاد فى الفوائد (١ / ٢٢٤ /٢) وابن بشران فى الأمالى (٢ /٣ /١) . وفى إسناده إسحاق بن بشر الكاهلى كذَّبه أبو بكر بن أبى شيبه وموسى بن هارون وأبو زرعه . وقال الخطيب فى ترجمته : « يروى عن مالك وغيره من الرُّفعاء أحاديث منكرة » . ثم ساق له هذا الحديث . وقال ابن عدى عقب الحديث : « هو فى عداد من يضع الحديث » وكذا قال الدَّراقطنى كما فى الميزان (١ / ١٨٦) .

والحديث ضعفه المناوى فى فيض القدير (٣/٤١٠) ونقل هناك تضعيف ابن الجوزى وابن العربى له ، وكذا ضعفه الألبانى فى الضعيفة (٢٢٣) .

(٢) **ضَعِيفٌ جِداً** :الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن قتيبه فى غريب الحديث كما فى الضعيفة للألبانى (١ /٢٥٧) عن إبراهيم بن يزيد عن عطاء عن ابن عباس موقوفاً عليه .

وإسناده ضعيف جداً فإن إبراهيم هذا وهو الخوزى متروك كما قال أحمد والنسائى وراجع ترجمته فى الميزان (١ / ٧٥) .

تنبيه : قال الألبانى فى الضعيفة (١ / ٢٥٧ ، ٢٥٨) : « إذا عرفت ذلك فمن العجائب أن يسكت عن الحديث الحافظ ابن رجب فى ذيل الطبقات (٧ / ١٧٤ ، ١٧٥) ويتأول ماروى عن ابن الفاعوس الحنبلى أنه كان يقول : « الحجر الأَسْود يَمِينُ الله حَقِيقَة » بأن المراد بيمينه أنه محل الاستسلام والتقبيل وأن هذا المعنى هو حقيقة فى هذه الصورة وليس مجازاً ، وليس فيه مايوهم الصفة الذاتية أَصلاً ، وكان يغنيه عن ذلك كله التنبيه على ضعف الحديث وأنه لاداعى لتفسيره أو تأويله لأن التفسير فرع التصحيح كما لايخفى » أ .هـ

الحديث وآخره يبيّن أنَّ الحجر ليس من صفات الله تعالى كما هو معلوم عند كل عَاقِل » أ . هـ ص (٣٩٨) مجلد (٦) مجموع الفتاوى .

❋❋❋

☐ المثال الثاني :

« **قُلُوب العِباد بين اصْبعَين[*] من أَصَابِع الرَّحمَن** » .

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه مسلم فى الباب الثَّانى من كتاب القدر[1] عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يصرفه حَيْثُ يَشَاءُ » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّف القُلُوب صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ » .

وقد أخذ السَّلف أهل السُّنة بظاهر الحديث وقالوا إنَّ لله تَعَالى أصابع حقيقة نثبتها له كما أثبتها له رَسُوله ﷺ ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين أصْبعَيْن منها أن تكون مُمَاسة لها حتى يُقَال إن الحديث مُوهم للحلول فيجب صَرْفه عن ظاهره . فهذا السَّحاب مُسَخَّر بين السَّماء والأرض وهو لا يمس السَّماء ولا الأرض ويقال : بدر بين مكة والمدينة مع تَبَاعُد ما بينها وبينهما فقلوب بنى آدم كلها بين أصْبعَيْن من أصابع الرَّحمن حقيقة ولا يلزم من ذلك مُمَاسَّة ولا حُلُول .

❋❋❋

☐ المثال الثالث :

---

(١) باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤) (١٧) .

(*) أصبع مثلث الهمزة والباء ففيه تسع لغات والعاشرة أصبوع كما قيل :

وهمز أنملة ثلث وثالثه التسع في أصبع واختم بأصبوع

أصبوع بضم الهمزة .

« إنّي أجدُ نفس الرَّحمن مِنْ قِبل اليمن »

والجواب : أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد فى المسند من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال النبى ﷺ : « أَلاَ إِنَّ الْإِيمانَ يَمانٌ وَالْحِكْمَةَ يَمانِيةٌ وَأَجِدُ نَفَسَ رَبكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ »[1] قال فى مجمع الزوائد : رجاله رجال الصَّحيح غير شبيب وهو ثقة قلت : وكذا قال فى التَّقريب عن شبيب : ثقة من الثالثة وقد روى البخارى نحوه فى التاريخ الكبير .

وهذا الحديث على ظاهره . والنَفَس فيه اسم مصدر نَفَّسَ يُنَفِّس تَنْفِيسا مثل فَرَّج يُفَرِّج تَفْريجا وفَرَجا هكذا قال أهل اللغة كما فى النهاية والقاموس ومقاييس اللغة قال فى مقاييس اللغة : « النَّفَس كل شيء يفرج به عن مَكْرُوب » فيكون معنى الحديث أَنَّ تَنْفِيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهؤلاء هم الَّذين قاتلوا أَهْلَ الرِّدة وفتحوا الأَمصار فبهم نَفَّسَ الرَّحمن عن المؤمنين الكُرُبات » .أ هـ ص (٣٩٨) ج(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام لابن قاسم .

***

☐ **المثال الرابع :**

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [البقرة : ٢٩]

والجواب : أن لأهل السُّنة فى تفسيرها قولين :

أحدهما : أنَّها بمعنى ارتفع إلى السماء وهو الذى رجَّحه ابن جرير قال فى تفسيره بعد أن ذكر الخلاف : « وأولى المعانى بقول الله جلَّ ثَنَاؤُه : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ [البقرة :٢٩] علا عليهن وارتفع فدبَّرهن بقدرته وخلقهن سبع

(١) رواه أحمد (٢ / ٥٤١) وقال الحافظ فى تخريج الكشاف ص (١٨٩) : « رواه الطبرانى فى الأوسط ومسند الشاميين من طريق جرير بن عثمان عن شبيب بن روح عن أبى هريرة به فى حديث أوله « الإيمان يمان » ولا بأس بإسناده وله شاهد من حديث سلمة بن نفيل السكونى فى مسند البزار والطبرانى فى الكبير والبيهقي فى الأسماء وفى إسناده إبراهيم بن سليمان الأفطس قال البزار : إنه غير مشهور » أ .هـ .

سَمَوات » أ هـ . وذكره البغوى فى تفسيره قول ابن عباس وأكثر مفسرى السلف . وذلك تمسُّكا بظاهر لفظ﴿ اسْتَوى ﴾ وتفويضا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عزَّ وجلَّ .

القول الثاني : أنَّ الاستواء هنا بمعنى القصد التَّام وإلى هذا القول ذهب ابن كثير فى تفسير سورة البقرة والبغوى فى تفسير سورة فصلت قال ابن كثير : « أى قصد إلى السَّماء والاستواء ههنا ضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدِّي بإلى » . وقال البغوى : « أى عَمَد إلى خلق السَّماء » .

وهذا القول ليس صَـرْفا للكلام عن ظاهره وذلك لأنَّ الفعل« اسْتَوى » اقترن بحرف يدلُّ على الغاية والانتهاء فانتقل إلى معنى يُنَاسب الحرف المُقْتَرن به ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ عَيْنا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾[الإنسان :٦] . حيث كان معناها يرْوى بها عباد الله لأنَّ الفعل« يَشْرَب » اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يُنَاسبها وهو يرْوى فالفعل يضمن معنى يُنَاسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام .

***

□ المثال الخامس والسادس :

قوله تعالى فى سورة الحديد : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾[الحديد : ٤] وقوله فى سورة المجادلة : ﴿ وَلَا أَدْنى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾[المجادلة : ٧]

والجواب : أن الكلام فى هاتين الآيتين حقٌّ على حقيقته وظاهره . ولكن ما حقيقته وظاهره ؟

هل يُقَال : إنَّ ظاهره وحقيقته أَنَّ الله تعالى مع خلقه معية تقتضى أَنْ يكون مختلطاً بهم أو حالاًّ فى أَمْكِنَتهم ؟

أو يُقال : إنَّ ظاهره وحقيقته أَنَّ الله تَعَالى مع خلقه معيَّة تَقْتَضِى أن يكونْ مُحِيطاً بهم عِلْماً وقدرة وسَمْعاً وَبَصَراً وتَدْبيراً وسُلْطاناً وغير ذلك من معانى ربوبيته مع علوه

على عرشه فوق جميع خلقه ؟

ولا ريب أن القول الأَوَّل لا يَقْتَضِيه السِّياق ولا يدلُّ عليه بوجه من الوُجوه وذلك لأَنَّ المعية هنا أُضيفت إلى الله عزَّ وجلَّ وهو أعظم وأَجَل من أَنْ يُحِيط به شيء من مخلوقاته ولأَنَّ المعية فى اللُّغة العربية التى نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المُصَاحبة فى المكان وإنَّما تَدُلُّ على مُطْلَق مُصَاحبة ثمَّ تفسر في كل موضع بِحَسْبه .

وتفسير معيّة الله تَعَالى لِخلْقِه بما يَقْتَضِى الحُلُول والاختلاط باطل من وجوه :

الأول : أنَّه مُخَالف لإجماع السَّلف فما فَسَّرها أحد منهم بذلك بل كانوا مجمعين على إِنْكَارِه .

الثاني : أنَّه مُنَافٍ لعلو الله تَعَالى الثَّابت بالكتاب والسُّنة والعقل والفطرة وإجماع السَّلف وما كان مُنَافيا لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المُنَافِى وعلى هذا فيكون تَفْسير مَعِيَّة الله لخلقه بالحُلُول والاختلاط باطلا بالكتاب والسُّنة والعقل والفطرة وإجماع السَّلف

الثالث : أنَّه مُسْتلزم للوازم باطلة لا تَلِيقُ بالله سُبْحانه وتَعَالى .

ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدَّره حق قَدْره وعرف مَدْلُول المعية فى اللغة العربية التى نَزَلَ بها القرآن أن يقول إن حقيقة معية الله لخلقه تَقْتَضِى أن يكون مختلطاً بهم أو حالّاً فى أمكنتهم فضْلاً عن أَنْ تستلزم ذلك ولا يقول ذلك إلَّا جاهلٌ باللغة جاهل بعظمة الرَّب جلَّ وعلا .

فإذا تبيَّن بُطْلان هذا القول تعيَّن أَنْ يكون الحق هو القول الثانى وهو أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضى أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسُلْطَاناً وغير ذلك مِمَّا تَقْتَضِيه رُبُوبيته مع عُلُوِّه على عرشه فوق جميع خلقه .

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب لأَنَّهُما حقٌّ ولا يكون ظاهر الحق إلَّا حقّاً ولايمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتوى الحموية ص (١٠٣) ج (٥) من مجموع

الفتاوى لابن قاسم : « ثمَّ هذه المعية تَخْتَلِف أحكامها بحسب المَوَارد فلما قال : ﴿ يَعْلَمُ مَايَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْها ﴾ [الحديد : ٤] إلى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السَّلَف إنه معهم بعلمه(*) وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . وكذلك فى قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنما كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] الآية .

ولما قال النبى ﷺ لصاحبه فى الغار :« لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا » كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودلَّت الحال على أن حكم هذه المعيَّة هنا مَعيّة الاطِّلاع والنَّصر والتَّأْييد » .

ثمَّ قال : « فلفظ المعية قد استعمل فى الكتاب والسُّنَّة فى مواضع يَقْتضى فى كل موضع أموراً لا يَقْتَضِيها فى الموضع الآخر فإمَّا أنْ تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تَدُلُّ على قَدْرٍ مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التَّقْديرين ليس مُقْتَضَاها أن تكون ذات الرَّب عزَّ وجلَّ مُخْتلطة بالخلق حتَّى يُقال قد صُرِفت عن ظاهرها » أ هـ .

ويدلُّ على أنَّه ليس مُقْتَضَاها أن تكون ذات الرب عزَّ وجلَّ مُخْتلِطةً بالخلق أنَّ الله تعالى ذكرها فى آية المجادلة بين ذكر عُمُوم عِلْمِه فى أول الآية وآخرها فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَافِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَايَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَة إِلَّا هُوَ رَابِعهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] .

فيكون ظاهر الآية أن مُقْتَضَى هذه المعيَّة عِلْمُه بعباده وأنَّه لا يَخْفى عليه شيء من أعمالهم لا أنَّه سبحانه مُخْتلِطٌ بهم ولا أنَّه مَعَهُم فى الأرْض .

أمَّا فى آية الحديد فقد ذكرها الله تعالى مَسْبوقة بذكر استوائه على عرشه وعموم

(*) كان هذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه لأنه إذا كان معلوما أن الله تعالى معنا مع علوه لم يبق إلا أن يكون مقتضى هذه المعية أنه تعالى عالم بنا مطلع شهيد مهيمن لا أنه معنا بذاته في الأرض .

علمه متلوة ببيان أنَّه بصير بما يَعْمَلُ العباد فقال : ﴿ هُوَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَايلجُ فِى الْأَرْض وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤]

فيكون ظاهر الآية أنَّ مُقْتَضَى هذه المعيَّة عِلْمُه بعباده وَبصَرُه بأعمالهم مع عَلُوه عليهم واستوائه على عرشه لا أنَّه سبحانه مُخْتَلِطٌ بهم ولا أنَّه معهم فى الأرض وإلَّا لكان آخر الآية مُنَاقِضا لأولها الدَّال على علوه واسْتوَائه على عرشه .

فإذا تَبَيَّنَ ذلك علمنا أنَّ مقتضى كونه تعالى مع عباده أنَّه يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ويرى أفْعَالهم ويدبر شؤونهم فيُحْيي ويُميت ويُغْنى ويُفْقِر ويؤتى الملك من يَشَاء ويَنْزِعُ الملك مِمَّن يَشَاء ويُعِزُّ مَنْ يَشَاء وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاء إلى غير ذلك مما تَقْتَضِيه رُبُوبيته وكمال سُلْطانه لا يحجبه عن خلقه شيء ومن كان هذا شأْنه فهو مع خَلْقه حقيقة ولو كان فوقهم على عَرْشه حَقِيقة(*) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص (١٤٢) جـ (٣) من مجموع الفتاوى لابن قاسم فى فصل الكلام على المعية قال : « وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سُبْحانه مِنْ أنَّه فوق العَرْش وأنَّه مَعَنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تَحْريف ولكن يُصَان عن الظُّنُون الكَاذِبة » أهـ .

وقال فى الفتوى الحموية ص (١٠٢ – ١٠٣) جـ (٥) من المجموع المذكور : « وجماع الأمر فى ذلك أن الكتاب والسُّنَّة يَحْصُل منهما كمال الهدى والنُّور لمن تَدَبَّر كتاب الله وسُنَّة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تَحْريف الكلم عن مواضعه والإلحاد فى أسماء الله وآياته ولايحسب الحاسب أنَّ شيئا من ذلك يُنَاقِضُ بعضه بعضا ألبتة مثل أن يقول القائل : ما فى الكتاب والسُّنة من أنَّ الله فوق العرش يُخالَفه الظَّاهر من قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ وقوله ﷺ : « إذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إلَى الصَّلاةِ فَإنَّ الله قِبَلَ

(*) وقد سبق أن المعية في اللغة العربية لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة فى المكان .

وَجْهِه » [1] ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقةً وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَايَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

فأخبر أنَّه فوق العرش يَعْلَمُ كل شيء وهو معنا أَيْنَما كُنَّا كما قال النَّبي ﷺ فى حديث الأوعال : « والله فَوْقَ العَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ ما أنتم عليه » [2] أ هـ .

واعلم أنَّ تفسير المعيَّة بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يُنَاقِضُ مَاثَبَتَ من علو الله تعالى بذاته على عَرْشه وذلك من وجوه ثلاثة :

---

(١) البخاري : كتاب الصلاة : باب حك البزاق باليد من المسند (٤٠٦) .
ومسلم : كتاب المساجد : باب النهى عن البصاق فى المسجد فى الصلاة وغيرها (٥٤٧) (٥٠) .
من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) **حَدِيثٌ ضَعِيفٌ** : حديث الأوعال الذي يقصده المؤلف هو حديث العباس بن عبد المطلب قال : كنا بالبطحاء فى عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرّت سحابة فقال : تدرون ما هذه ؟ قالوا : سحاب ، قال : والمزن . قالوا : والمزن . قال : والعنان . قالوا : والعنان .

ثم قال : تَدْرون كم بُعد ما بين السَّماء والأرضين ؟ قالوا : لا ، قال : إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعين سنة ثم السَّماء فوق ذلك حتى عدَّ سبع سماوات ثم فوق السَّماء السابعة بحر أَعْلَاهُ وأَسْفَلُه ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك كله ثمانية أملاك أَوْعالٍ مابين أَظْلافهم إلى ركبهم مثل مابين سماء إلى سماء ، ثم فوق ظهورهم العرش أعلاه وأَسْفَلُه مثل ما بين سماء إلى سماء والله تعالى فوق ذلك » .

أخرجه أحمد (١ /٢٠٦ ، ٢٠٧) وأبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وحسنه ، وابن ماجة (١٩٣) والحاكم فى المستدرك (٢ /٥٠٠ ، ٥٠١) وعثمان الدَّارمي في الرد على الجهمية ص (٢٤) وفى النقض على المريسى ص (٩٠ ، ٩١) وابن أبي عاصم فى السنة (٥٧٧) وابن خزيمة فى التوحيد (١٤٤) والآجرى فى الشريعة ص (٢٩٢ ، ٢٩٣) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة فى العرش (٩ ، ١٠) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٥٠٤) واللالكائى فى أصول اعتقاد أهل السُّنة (٦٥١) والعقيلى فى الضعفاء (٢ /٢٨٤) وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢ /٢٥) وفى الواهيات (١ / ٩ ، ١٠) وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٢ /٢) وأبو الشيخ فى العظمة (٢٠٤) وابن قدامة فى العلو (٩) والذهبى فى العلو ص (٤٩ ، ٥٠) وابن عبد البر فى التمهيد (٧ / ١٤٠) وابن حزم فى الملل والنحل (٢ / ١٠٠ ، ١٠١) والمزى فى تهذيب الكمال (٢ / ٧١٩) وغيرهم من طرق عن سِمَاكِ بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب فذكره .

وسنده ضعيف منقطع فيه أكثر من علة :

الأول : أَنَّ الله تَعَالَى جمع بينهما لنفسه فى كتابه المُبِين المُنَزَّه عن التَّناقض وما جمع الله بينهما فى كتابه فلا تَنَاقُض بينهما .

وكل شيء فى القرآن تَظُنُّ فيه التَّناقض فيما يبدو لك فَتدَبَّره حتى يتبيّن لك لقوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ [النساء : ٨٢] فإن لم يتبيَّن لك فعليك بطريق الرَّاسخين فى العلم الذين يقولون : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] وَكل الأمر إلى مُنزله الَّذى يَعْلَمُه واعلم أن القُصُور فى عِلْمِك أو فى فَهْمِك وأن القرآن لا تَنَاقُض فيه .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام فى قوله فيما سبق : « كما جمع الله بينهما » .

= ١ – فمن ذلك : تَفَرُّد سماك بروايته وإذا نظرنا إلى حديث سماك حال الإنفراد وجدناه لا يحتج به إذا انفرد ففى التهذيب (٤ / ٢٣٤) : قال النسائي : كان ربما لُقِّن ، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة ، لأنه كان يلقن فيتلقن » أهـ . وهذا جرح إمام ناقد وهو بين واضح وقد انفرد في حديثه بذكر صفة حملة العرش .

٢ – وأيضاً : عبد الله بن عميرة مجهول وأعل الذهبي حديثه هذا فى العلو بجهالته وفى الميزان قال عنه : « فيه جهالة » وقال عنه البخارى : « لا يعرف له سماع من الاحنف بن قيس » كذا فى التاريخ الكبير .

٣ – أضف إلى ذلك : أن سياق الحديث فيه نكارة فى المتن – كما أشار إلى ذلك الأخ المكرم عبد الله بن يوسف فى فتيا وجوابها لابن العطار فى تعليق على الحديث ص (٧٢) – من وجهين :

الأول : تشبيه الملائكة بالتيوس ، فإن الأوعال جمع وعل وهو تيس الجبال ، وإن كان هذا اللفظ يُستعار للأشراف من الناس فإنه ههنا على الأصل بقرينة ذكر الأظلاف فإنها من خواص ما يجتر من الحيوان .

الثانى : أكثر الأصول تذكر الأظلاف والركب مؤنثة وهو معنى منكر فى حق الملائكة وقد أنكره الله على المشركين .

وقد ضعف الحديث وأشار إلى ضعفه غير واحد من أهل العلم منهم : ابن عدى فى الكامل فى ترجمة يحيى بن العلاء فقال : « إنه غير محفوظ » وردَّه ابن العربى فى شرحه للترمذى بقوله : « أمور تلقفت من أهل الكتاب ليس لها أصل الصِّحة » . وكذا ضعفه الألبانى فى تخريجه للسُّنة لابن أبى عاصم والأرناؤوط فى تعليقه على الطَّحاوية (٢ / ٣٦٥) .

وما جاء من تقوية الحافظ ابن القيم له فى تهذيب السُّنن (٧ / ٩٢ ، ٩٣) فلاعتقاده أن العلة التى فيه هى تفرد الوليد بن أبى ثور عن سماك وأنها مدفوعة برواية غيره من الثقات عن سماك مثل إبراهيم بن طهمان وغيره .

والحق كما رأيت أن الاشكال ليس فى الطرق الموصلة لسماك وإنما الإشكال فى سماك نفسه ومن فوقه .

وأشار ابن القيم إلى علة أخرى وهى المخالفة لحديث آخر رواه الترمذى عن أبى هريرة وردها بقوله : « أن الترمذى ضعف هذا الحديث عن أبي هريرة » راجع تهذيب السنن (٧ / ٩٢ ، ٩٣) .

ولعلنا نُفرد لهذا الحديث بحثاً خاصاً بإذن الله .

وكذلك ابن القيم كما فى مختصر الصواعق لابن الموصلى ص (٤١٠) ط الإمام فى سياق كلامه على المثال التَّاسع مما قيل إنَّه مجاز قال : « وقد أخبر الله أنَّه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه وقرن بين الأمرين كما قال تعالى – وذكر آية سورة الحديد – ثمَّ قال : « فأخبر أنَّه خلق السَّموات والأرض وأنَّه استَوى على عرشه وأنَّه مع خلقه يُبْصِرُ أعمالهم من فوق عَرْشه كما في حديث الأوعال : « واللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَرَى مَا أَنْتُم عَلَيْهِ »[1] فعلوه لا يُنَاقض مَعِيَّته ومَعِيَّته لا تبْطل علوه بل كلاهما حق » أ هـ .

الوجه الثَّانى : أنَّ حقيقة معنى المعية لا يُنَاقض العلو فالاجتماع بينهما ممكن فى حق المخلوق فإنه يقال : مازلنا نَسِيرُ والقمر معنا ولا يعد ذلك تَنَاقُضاً ولا يَفْهَمُ مِنْه أحد أنَّ القمر نزل فى الأرض فإذا كان هذا ممكناً فى حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع عُلُوه سبحانه من باب أَوْلى وذلك لأنَّ حقيقة المعيَّة لا تستلزم الاجتماع فى المكان .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتوى الحموية ص (١٠٣) المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم حيث قال : « وذلك أنَّ كلمة (مع) فى اللُّغة إذا أُطلقت فليسْ ظاهرها فى اللُّغة إلَّا المقارنة المُطْلَقة من غير وجوب مماسَّة أو مُحَاذاة عن يمين أو شمال فإذا قُيِّدت بمعنى من المَعَانى دلَّت على المقارنة فى ذلك المعنى فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا أو والنَّجم معنا ويقال : هذا المتاع معى لمجامعته لك وإن كان فوقِ رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عَرْشِه حقيقة » أ هـ .

وصدق رحمه الله تعالى فإنَّ من كان عَالِماً بك مُطَّلعاً عليك مُهَيْمِناً عليك يَسْمع ما تقول ويرى ما تفعل ويُدَبِّر جميع أمورك فهو معك حقيقة وإن كان فوق عرشه حقيقة لأنَّ المعية لاتستلزم الاجتماع فى المكان .

الوجه الثَّالث : أنه لو فرض امتناع اجتماع المعيَّة والعلو فى حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك مُمْتَنِعاً فى حق الخالق الذى جمعَ لنفسه بينهما لأنَّ الله تعالى لا يُمَاثله شيء

---

(١) حديث ضَعِيفٌ : تقدم تخريجه .

من مخلوقاته كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية فى العقيدة الواسطية ص (١٤٣) ج (٣) من مجموع الفتاوى حيث قال : « وما ذُكِرَ فى الكتاب والسُّنة من قُرْبه ومَعيته لا يُنَافى ما ذُكِر من عُلُوه وفوقيته فإنَّه سبحانه ليس كمثله شيء فى جميع نعوته وهو علىّ فى دُنُوه قَرِيبٌ فى عُلُوه » أ هـ .

(**تتمـــة**) انقسم الناس فى معيَّة الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام :

القسم الأول يقولون : « إنَّ معيَّة الله تعالى لخلقه مُقْتَضَاها العلم والإحاطة فى المعية العامَّة ومع النَّصر والتَّأييد فى المعية الخاصة مع ثبوت عُلُوه بذاته واستوائه على عرشه » .

وهؤلاء هم السَّلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره .

القسم الثانى يقولون : « إنَّ معيَّة الله لخلقه مُقْتَضَاها أن يكون معهم فى الأرض مع نفى علوه واسْتوائه على عَرْشه » .

وهؤلاء هم الحُلُولية من قدماء الجهمية وغيرهم ومَذْهَبُهم باطل مُنْكَرٌ أجمع السَّلف على بطلانه وإنكاره كما سبق .

القسم الثالث يقولون : « إنَّ معيَّة الله لخلقه مُقْتَضَاها أن يكون معهم فى الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه » ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ص (٢٢٩) ج (٥) من مجموع الفتاوى .

وقد زعم هؤلاء أنَّهم أخذوا بظاهر النُّصوص فى المعيَّة والعلو وكذبوا فى ذلك فَضَلُّوا فإن نُصُوص المعيَّة لا تَقْتَضى ما ادَّعوه من الحلول لأنَّه باطل ولا يمكن أنْ يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطلاً .

(**تنبيه**) اعلم أن تفسير السَّلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنَّه معهم بِعِلْمه لا يقتضى الاقتصار على العلم بل المعيَّة تقتضى أيضاً إحاطته بهم سَمْعاً وبَصراً وقدرةً وتدبيراً ونحو ذلك من معاني ربوبيته .

(تنبيه آخر) أشرت فيما سبق إلى أن عُلو الله تعالى ثابت بالكتاب والسُّنة والعقل والفطرة والإجماع .

● **أمَّا الكتاب** : فقد تنوَّعت دلالته على ذلك .

– فتارةً بلفظ العلو والفوقية والإستواء على العرش وكونه فى السَّماء كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٨] ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦] .

– وتارةً بلفظ صُعود الأشياء وعُرُوجها ورفعها إليه كقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

– وتارةً بلفظ نُزول الأشياء منه ونحو ذلك كقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ٥]

● **وأمَّا السُّنة** : فقد دلَّت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية فى أحاديث كثيرة تَبْلُغ حد التَّواتر وعلى وجوه متنوعة كقوله ﷺ فى سجوده :« سُبْحَانَ رَبِّى الْأَعْلَى »[1] وقوله : « إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِي »[2].

---

(١) حَدِيثٌ صحيحٌ : رواه مسلم (٧٧٢) (٢٠٣) ضمن حديث طويل لحذيفة فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل وهو جزء من حديث حذيفة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول إذا ركع : سبحان ربى العظيم ، وإذا سجد : سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات » .
أخرجه أبو داود (٨٧١) والترمذى (٢٦٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح والنسائىُّ (٣ / ٢٢٦) وابن ماجه (٨٨٨) . وقد صحَّحه الألبانى فى تخريج الكلم الطيب ص (٥٩) لشواهده .

(٢) الحديث بهذا اللفظ : أخرجه البخارى : كتاب التوحيد : باب ﴿ وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ﴾ (٧٤٢٢) . وهو عند مسلم بألفاظ كثيرة : كتاب التوبة : باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥١) .

وقوله : « أَلَا تَأْمَنُونِى وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِى السَّمَاء »[1].

وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول : « اللَّهُمَّ أَغِثْنَا »[2] .

وأنَّه رفع يده إلى السَّماء وهو يخطب النَّاس يوم عرفة حين قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ »[3] .

وأنه قال للجارية : « أَيْنَ الله » قالت: فى السَّماء. فأقرَّها وقال لسيدها : « اعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ »[4] .

● **وأمَّا العقل** :فقد دلَّ على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنْزيهه عن النَّقص . والعلو صفة كمال والسّفل نَقْص فوجب لله تعالى صفة العلو وتَنْزيهه عن ضده .

● **وأمَّا الفطرة** : فقد دلَّت على عُلُو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من داعٍ أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلَّا وجد فى قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لايلتفت عن ذلك يمْنَةً ولا يسْرَةً .

واسأل المصلين يقول الواحد منهم فى سجوده : « سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى » أين تتَّجه قلوبهم حينذاك .

● **وأمَّا الإجماع** : فقد أجمع الصَّحابة والتَّابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سمواته مُسْتو على عَرْشه وكلامهم مَشْهور فى ذلك نَصّاً وظَاهِراً قال الأوزاعى : « كُنَّا والتَّابِعُون مُتَوافِرُون نَقُول إنَّ الله تَعَالى ذِكْرُه فَوْقَ عَرْشِهِ ونُؤْمِنُ بِمَا جَاءَت به السُّنة

= من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(١) جزء من حديث أبى سعيد الخدرى الطويل الذى أخرجه :
البخارى : كتاب المغازى : باب بعث على بن أبى طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع . (٤٣٥١) . ومسلم : كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤) (١٤٤) .

(٢) البخارى : كتاب الاستسقاء : باب الاستسقاء فى خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (١٠١٤) .
ومسلم : كتاب صلاة الاستسقاء : باب الدعاء فى الاستسقاء (٨٩٧) (٨) . من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٣) مسلم : كتاب الحج : باب حجة النبى ﷺ (١٢١٨) (١٤٧) .
من حديث جابر رضى الله عنه .

(٤) مسلم : كتاب الجنائز ومواضع الصلاة : باب تحريم الكلام فى الصَّلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧) (٣٣) . من حديث معاوية بن الحكم السُّلمى .

من الصِّفات »[1] وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم ومُحال أَنْ يقع فى مثل ذلك خلاف وقد تطابقت عليه هذه الأدلَّة العظيمة التى لا يُخَالفها إلا مُكَابر طمس على قلبه واجتالته الشَّياطين عن فطرته نسأل الله تعالى السَّلامة والعافية .

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأَشياء وأظهرها دليلاً وأحق الأشياء وأثبتها واقعاً .

(**تنبيه ثالث**) اعلم أيها القارىء الكريم أَنَّه صدر منى كتابة لبعض الطَّلبة تتضمَّن ما قُلْتُه فى بعض المجالس فى معيَّة الله تعالى لخلقه. ذكرت فيها : أَنَّ عقيدتنا أن لله تعالى مَعيَّة حقيقية ذاتية تَلِيقُ به وتَقْتَضِى إحاطته بكل شىء عِلْماً وقدْرةً وسَمْعاً وبَصَراً وسُلْطاناً وتَدْبيراً وأنَّه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حَالاًّ فى أَمْكنتهم بل هو العلي بذاته وصفاته وعلوه من صفاته الذَّاتية التى لا ينفك عنها وأَنَّه مُسْتو على عرشه كما يليق بجلاله وأن ذلك لا يُنَافى معيته لأنه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير ﴾[الشورى : ١١] .

وأردت بقولى (ذاتية) توكيد حقيقة مَعِيَّته تبارك وتعالى .

وما أردت أَنَّه مع خلقه سبحانه فى الأرض كيف وقد قلت فى نفس هذه الكتابة كما ترى إِنَّه سبحانه مُنَزَّه أن يكون مُخْتلِطاً بالخلق أو حَالاًّ فى أمكنتهم وأَنَّه العلي بذاته وصفاته وأَنَّ علوه من صفاته الذَّاتية التى لا يَنْفكُّ عنها وقلت فيها أيضا ما نَصُّه بالحرف الواحد :

« ونَرَى أَنَّ من زعم أَنَّ الله بذاته فى كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أَوأئمتها » أ هـ .

ولايمكن لعاقل عرف الله وقَدَّره حق قَدره أن يقول إنَّ الله مع خلقه فى الأرض

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه البيهقى فى كتاب الأسماء والصِّفات ص (٤٠٨) والذهبى فى العلو (ص ١٣٨ – مختصر) من طريق أبى عبد الله الحاكم عن الأوزاعى قال .. » فذكره.قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتوى الحموية ص (٤٣) : « إسناده صحيح » . وتبعه عليه ابن القيم فى اجتماع الجيوش ص (٤٣) . وقال الألبانى فى مختصر العلو ص (١٣٨) : « ورواته أئمة ثقات » أ .هـ .

وما زلت ولا أزال أُنْكِر هذا القول في كل مجلس من مَجالسي جرى فيه ذكره . وأسأل الله تعالى أن يثبتنى وإخواني المسلمين بالقول الثَّابت فى الحياة الدُّنيا وفى الآخرة .

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالا نُشِرَ فى مجلة (الدعوة) التى تصدر فى الرياض نشر يوم الإثنين الرابع من شهر محرم سنة ١٤٠٤ هـ أربع وأربعمائة وألف برقم (٩١١) قَرَّرت فيه ماقرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من أَنَّ : معيَّة الله تعالى لخلقه حقٌّ على حقيقتها وأَنَّ ذلك لا يَقْتَضِى الحلول والاختلاط بالخلق فَضْلاً عن أن يَسْتَلْزِمُه ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية)(*) وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعيَّة .

واعلم أن كل كلمة تَسْتَلزِم كون الله تعالى فى الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته أو نفي علوه أو نفي استوائه على عرشه أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنَّها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان وبأى لفظ كانت .

وكل كلام يُوهم – ولو عند بعض النَّاس – ما لايليق بالله تعالى فإن الواجب تَجَنُّبه لئلا يُظَنَّ بالله تعالى ظن السُّوء لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من تَوَهَّم فيه ما لا يليق بالله عزَّ وجلَّ .

***

□ **المثال السابع والثامن :**

قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] . وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [الواقعة : ٨٥] حيث فُسِّر القُرْب فيهما بقرب الملائكة .

والجواب : أن تفسير القُرْب فيهما بقرب الملائكة ليس صَرْفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبَّره .

(*) انظر سبب ذلك فى المقال المنشور ص (٩٢) من هذا الكتاب .

أمَّا الآية الأولى : فإنَّ القُرْب مُقَيَّد فيها بما يدلُّ على ذلك حيث قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ : ١٦ – ١٨] ففى قوله : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ﴾ [قٓ : ١٧] دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقيين .

وأمَّا الآية الثَّانية : فإنَّ القُرْب فيها مُقَيَّد بحال الاحتضار والذى يحضر الميت عند موته هم الملائكة لقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يفرطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١] ثم إن فى قوله : ﴿ ولَكِن لَا تُبْصِرونَ ﴾ [الواقعة : ٨٥] دليلا بينا على أنهم الملائكة إذ يدل على أن هذا القريب فى نفس المكان ولكن لا نبصره وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك فى حق الله تعالى .

بقى أن يُقَال فلماذا أضاف الله القرب إليه وهل جاء نحو هذا التَّعبير مراداً به الملائكة ؟ .

فالجواب : أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه لأنَّ قربهم بأمره وهم جُنُوده ورسله .

وقد جاء نحو هذا التَّعبير مُرادًا به الملائكة كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه ﴾ [القيامة : ١٨] فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله ﷺ مع أنَّ الله تعالى أضاف القراءة إليه لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبى ﷺ بأمر الله تعالى صَحَّت إضافة القراءة إليه تعالى . وكذلك جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٤] وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى .

***

□ **المثال التاسع والعاشر :**

قوله تعالى عن سفينة نوح : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] وقوله

لموسى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] .

والجواب : أنَّ المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا ؟

هل يُقَال : إن ظاهره وحقيقته أنَّ السَّفينة تجرى فى عين الله أو أن موسى عليه الصَّلاة والسَّلام يُربَّى فوق عين الله تعالى .

أو يُقال : إنَّ ظاهره أن السَّفينة تجرى وعين الله تَرْعاها وتَكْلَؤُها وكذلك تَرْبية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها .

ولا ريب أَنَّ القول الأول باطل من وجهين :

الأول : أنه لا يَقْتَضِيه الكلام بِمُقْتَضَى الخطاب العربى والقرآن إنما نزل بلغة العرب قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥] ولا أحد يفهم من قول القائل : فلان يسير بعينى أَنَّ المعنى أَنَّه يسير داخل عينه ولا من قول القائل : فلان تخرج على عينى أن تخرجه كان وهو راكب على عينه ولو ادَّعى مُدَّعٍ أن هذا ظاهر اللَّفظ فى هذا الخطاب لضحك منه السُّفهاء فضلا عن العقلاء .

الثانى : أن هذا مُمْتنع غاية الامتناع ولا يمكن لمن عرف الله وقَدَّره حق قَدْرِه أن يَفْهمه فى حق الله تعالى لأنَّ الله تعالى مُسْتَوٍ على عَرْشه بائن من خَلْقِه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته ولا هو حال فى شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فإذا تبيَّن بطلان هذا من النَّاحية اللَّفظية والمَعْنَوية تعيَّن أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثَّانى أن السَّفينة تجرى وعين الله تَرْعَاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يَرْعَاهُ ويَكْلَؤُه بها . وهذا معنى قول بعض السَّلف : « بمرأى منى » فإن الله تعالى إذا كان يَكْلَؤُه بعينه لزم من ذلك أنْ يراه ولازم المعنى الصَّحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمُطَابقة والتَّضَمُّن والالتزام .

□ المثال الحادى عشر :

قوله تعالى فى الحديث القدسى : « وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا وَلَئِن سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِن اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ » .

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه البخارى فى باب التواضع الثامن والثّلاثين من كتاب الرقاق[(1)] .

وقد أخذ السَّلف أهل السُّنَّة والجماعة بظاهر الحديث وأجروه على حقيقته .

ولكن ما ظاهر هذا الحديث ؟

هل يُقَال : إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولى وبَصَرُه ويده وَرِجْلُه ؟

أو يقال : إنَّ ظاهره أن الله تعالى يُسَدِّد الولى فى سَمْعه وبَصَره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفى الله ؟

ولا ريب أنَّ القول الأول ليس ظاهر الكلام بل ولا يَقْتَضِيه الكلام لمن تدبَّر الحديث فإن فى الحديث ما يمنعه من وجهين :

الأول : أنَّ الله تعالى قال : « وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه » وقال : « وَلَئِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذنى لَأُعِيذَنَّه » . فأثبت عبداً ومعبوداً ومُتقرباً ومُتَقَربا إليه ومحباً ومحبوباً وسائلاً ومَسْئُولاً ومُعْطيا ومُعْطى ومُسْتَعِيذاً ومُسْتَعَاذاً به ومُعِيذاً ومُعَاذاً . فسياق الحديث يدل على اثنين مُتَباينين كل واحد منهما غير الآخر وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصْفاً فى الآخر أو جزءاً من أجزائه .

الوجه الثانى : أنَّ سَمْع الولىّ وبَصَره ويده ورجله كلها أَوْصَاف أو أجزاء فى مخلوق حادِثٌ بعد أنْ لم يكن ولا يمكن لأى عاقل أنْ يَفْهَم أن الخالق الأوَّل الذى ليس قبله شيء يكون سمعاً وبَصَراً ويَدَاً ورِجْلاً لمخلوق بل إنَّ هذا المعنى تَشْمَئِزُّ منه النَّفس أن

(1) برقم (٦٥٠٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

تتصوره ويحسر اللِّسان أن يَنْطق به ولو على سبيل الفرض والتَّقدير فكيف يَسُوغ أن يُقَال إنه ظاهر الحديث القدسى وأنَّه قد صرف عن هذا الظَّاهر ؟ سُبْحانك اللَّهُمَّ وبحمدك لا نُحْصى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسك .

وإذا تبيَّن بُطْلان القول الأَوَّل وامتناعه تعين القول الثَّانى وهو أن الله تعالى يُسَدِّد هذا الولى في سَمْعِه وبَصَره وعَمَله بحيث يكون إدراكه بِسَمْعه وبَصَره وَعمَله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً وبالله تعالى اسْتِعَانةً وفى الله تعالى شرعاً واتِّباعًا فيتمُّ له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية التَّوفيق وهذا ما فسَّره به السَّلف وهو تفسير مطابق لظاهر اللَّفظ موافق لحقيقته مُتَعَيَّن بسياقه وليس فيه تأويل ولا صَرْفٌ للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنة .

***

☐ **المثال الثانى عشر :**

قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال : « مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّى ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً وَمَنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » .

وهذا الحديث صحيح رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء من حديث أبى ذر رضى الله عنه وروى نحوه من حديث أبى هريرة أيضاً وكذلك روى البخارى نحوه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى كتاب التَّوحيد الباب الخامس عشر(١) .

وهذا الحديث كغيره من النُّصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأنَّه سبحانه فعال لما يريد كما ثبت ذلك فى الكتاب والسُّنَّة مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ

(١) أما حديث أبى ذر : فهو عند مسلم برقم (٢٦٨٧) (٢٢) : باب فضل الذكر والدُّعاء .
وأما حديث أبى هريرة : فهو عند البخارى كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى:﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (٧٤٠٥) ومسلم : كتاب الذكر والدُّعاء : باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) (٢) .

إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] وقوله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ »(١) وقوله ﷺ : « مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ الله إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ »(٢) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدَّالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى .

فقوله فى هذا الحديث : « تقرَّبت منه وأَتَيْتُه هرولة » من هذا الباب .

والسَّلف أهل السُّنَّة والجماعة يجرون هذه النُّصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى شرح حديث النزول ص (٤٦٦) جـ (٥) من مجموع الفتاوى : « وأَمَّا دُنُوّه نفسه وَتَقَرُّبه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنَفسه ومَجيئه يوم القيامة ونُزوله واسْتواءه على العرش وهذا مَذْهَبُ أئمة السَّلف وأئمة الإسلام المَشْهُورين وأهل الحديث والنَّقل عنهم بذلك متواتر » أهـ .

فأىّ مَانِع يمنع من القول بأَنَّه يقرب من عَبْده كيف يَشَاء مع علوه ؟ وأىّ مانع يَمْنَعُ من إتيانه كيف يَشَاء بدون تَكْييف ولا تَمْثيل ؟

وهل هذا إِلَّا من كماله أَنْ يكون فعالا لما يُريد على الوجه الذى به يليق ؟

وذهب بعض النَّاس إلى أن قوله تعالى فى هذا الحديث القدسى : « أَتَيتهُ هَرْوَلَة » يُرَادُ به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المُتَقَرِّب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه وأَنَّ مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل . وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال : « وَمَنْ أَتَانِى يَمْشِي » ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ الطَّالب للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمَشْى فقط بل تارةً يَكُونُ بالمشى كالسَّير

---

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ : تقدم تخريجه .

(٢) البخارى : كتاب الزكاة : باب لا يقبل الله صدقة من غلول (١٤١٠) .
ومسلم : كتاب الزكاة : باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٤) (٦٣) .
من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

إلى المساجد ومَشَاعر الحج والجهاد فى سَبِيل الله ونحوها وتارةً بالرُّكوع والسُّجود ونحوهما وقد ثبت عن النبى ﷺ : « أَنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّه وَهُوَ سَاجِدٌ » بل قد يكون التَّقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] وقال النبى ﷺ لعمران بن حصين : « صَلِّ قَائِماً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جُنبٍ »[1] .

قال : فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مُجَازاة الله تعالى العبد على عمله وأَنَّ من صَدَقَ فى الإقبال على رَبِّه وإنْ كان بطيئًا جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفْضل . وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشَّرعية المفهومة من سياقه .

وإذا كان هذا ظاهر اللَّفظ بالقرينة الشَّرعية لم يكن تَفْسِيرُه به خُروجاً به عن ظاهره ولا تأويلا كتأويل أهل التَّعطيل فلا يكون حجة لهم على أهل السُّنة ولله الحمد .

وما ذهب إليه هذا القائل له حظٌّ من النَّظر لكن القول الأول أظهر وأَسْلَم وأليق بمذهب السَّلف .

ويجاب عما جعله قرينة من كون التَّقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختصُّ بالمشى بأَنَّ الحديث خرج مَخْرج المثال لا الحصر فيكون المعنى من أتانى يَمْشى فى عبادة تفتقر إلى المشى لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشى إلى المساجد للصَّلاة أو من ماهيتها كالطَّواف والسَّعى . والله تعالى أعلم .

***

□ المثال الثالث عشر :

قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً ﴾ [يسٓ : ٧١] .

(١) البخارى : كتاب تقصير الصَّلاة : باب إذا يصل قاعداً صلى على جنب (١١١٧) .

والجواب : أنْ يُقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يُقال إنها صرفت عنه ؟

هل يُقال : إن ظاهرها أَنَّ الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده ؟

أو يُقال : إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف فى اللُّغة العربية التى نَزَلَ بها القرآن .

أمَّا القول الأول فليس هو ظاهر اللَّفظ لوجهين :

أحدهما : أن اللَّفظ لا يَقْتَضِيه بمقتضى اللِّسان العربى الذى نزل القرآن به ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٣] وقوله : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ والْبَحْرِ بِمَا كَسَبَت أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١] وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٢] فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدَّمه وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال : عملته بيدى كما فى قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُون الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ ﴾ [البقرة : ٧٩] فإنه يدل على مباشرة الشىء باليد .

الثانى : أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية خلقنا لهم بأيدينا أنعاما كما قال الله تعالى فى آدم : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [صٓ : ٧٥] لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية لقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] .

وإذا ظهر بطلان القول الأول تعيَّن أن يكون الصواب هو القول الثَّانى وهو أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها و لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النَّفس بمقتضى اللُّغة العربية بخلاف ما إذا أُضيف إلى النفس وعُدِّىَ بالباء إلى اليد فتنبه للفرق فإنَّ التَّنبه للفروق بين المُتَشَابِهات من أجود أنواع العلم وبه يزول كثير من الإشكالات .

❋❋❋

□ المثال الرابع عشر :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] .

والجواب : أن يقال : هذه الآية تضمنت جملتين :

الجملة الأولى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ﴾ [الفتح : ١٠] وقد أخذ السَّلف أهل السُّنة بظاهرها وحقيقتها وهى صريحة فى أن الصَّحابة رضى الله عنهم كانوا يُبايعون النبى ﷺ نفسه كما فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] .

ولا يُمْكن لأحدٍ أنْ يفهم من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ﴾ [الفتح : ١٠] أنهم يبايعون الله نفسه ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ لمنافاته لأول الآية والواقع واستحالته فى حق الله تعالى .

وإنَّما جعل الله تعالى مُبايعة الرَّسول ﷺ مُبايعة له لأنَّه رسوله وقد بايع الصَّحابة على الجهاد فى سبيل الله تعالى ومبايعة الرَّسول على الجهاد فى سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله لأنَّه رسوله المبلغ عنه كما أنَّ طاعة الرَّسول طاعة لمن أُرسله لقوله تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وفي إضافة مبايعتهم الرَّسول ﷺ إلى الله تعالى من تَشْريف النَّبى ﷺ وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد .

الجملة الثانية : قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] وهذه أيضا على ظاهرها وحقيقتها فإنَّ يد الله تعالى فوق أيدى المبايعين لأنَّ يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه فكانت يده فوق أيديهم . وهذا ظاهر اللَّفظ وحقيقته وهو لتوكيد كون مُبايعة النَّبى ﷺ مبايعة لله عز وجل ولا يلزم منها أن تكون يد الله جلَّ وعلا مُبَاشرة لأيديهم أَلاَ ترى أنَّه يقال : السَّماء فوقنا مع أنَّها مُباينة لنا بعيدة عنا . فيد الله عزَّ وجلَّ فوق أَيْدِى المبايعين لرسوله ﷺ مع مباينته تعالى لخلقه وعلوه عليهم .

ولا يمكن لأحد أنْ يفهم أنَّ المراد بقوله : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] يد النبى ﷺ ولا أن يدعى أن ذلك ظاهر اللفظ لأنَّ الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه ووصفها بأنها فوق أيديهم . ويَدُ النَّبى ﷺ عند مُبايعة الصَّحابة لم تكن فوق أيديهم بل كان يبسطها إليهم فيمسك بأيديهم كالمُصَافح لهم فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم .

❋❋❋

□ **المثال الخامس عشر :**

قوله تعالى فى الحديث القدسى : « يَابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِى » . الحديث .

وهذا الحديث رواه مسلم فى باب فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة والآداب رقم (٤٣) ص (١٩٩٠) ترتيب محمد فؤاد عبد الباق رواه مسلم[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يوْمَ الْقِيَامَةِ:يَابْنَ آدَمَ مَرِضتُ فَلَمْ تَعُدْنِى قَالَ : يَارَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ الْعَالِمِينَ قَالَ : أَمَا عَلِمتَ أَنَّ عَبْدِى فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِى عِنْدَهُ يَابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِى قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمكَ عَبْدِى فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطعَمْتَهُ لَوَجدتَ ذَلِكَ عِنْدِى يَابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِى قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أُسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِى فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وجدتَ ذَلِكَ عِنْدِى » .

والجواب : أنَّ السَّلف أخذوا بهذا الحديث ولم يَصرفوه عن ظاهره بتحريف يَتَخَبَّطُون فيه بأهوائهم وإنَّما فَسَّروه بما فَسَّره به المتكلم به فقوله تعالى : « مَرِضْتُ واسْتَطْعَمْتُكَ واسْتَسْقَيْتُكَ » بَيَّنه الله تعالى بنَفْسِه حيث قال : « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدى فُلَاناً مَرِضَ وأَنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدى فُلان . واسْتَسْقَاكَ عَبْدى فُلَان » وهو صَرِيحٌ فى أنَّ المراد به مَرَضُ عَبْد من عباد الله واسْتِطْعَامُ عَبْد من عباد الله واسْتِسْقَاءُ عَبْد من عباد الله والَّذى فسَّره بذلك هو الله المُتَكلِّم به وهو أَعْلَمُ بمراده فإذا فسَّرنا المرض

(١) باب فضل عيادة المريض برقم (٢٥٦٩) (٤٣) .

المُضَاف إلى الله والاسْتِطْعَام المضاف إليه والاسْتِسْقاء المُضَاف إليه بمرضِ العبد واسْتِطْعَامه واسْتِسْقَائه لم يكن فى ذلك صَرْف للكلام عن ظاهره لأَنَّ ذلك تَفْسير المتكلِّم به فهو كما لو تكلَّم بهذا المعنى ابتداء . وإنَّما أضَاف الله ذلك إلى نفسه أولا للتَّرغيب والحثّ كقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدَّامغة لأهل التَّأْويل الذين يحرفون نُصُوص الصِّفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سُنَّة رسوله ﷺ وإنَّما يحرفونها بشُبه باطلة هم فيها مُتَنَاقضون مُضْطَّربون . إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبيَّنه الله تعالى ورسوله ولو كان ظاهرها مُمْتَنِعا على الله – كما زعموا – لبيَّنه الله ورسوله كما فى هذا الحديث . ولو كان ظاهرها اللَّائق بالله مُمْتَنِعاً على الله لكان فى الكتاب والسُّنة من وَصْفِ الله تعالى بما يَمْتنعُ عليه ما لا يحصى إلَّا بكلفة وهذا من أكبر المُحَال .

ولنكتف بهذا القَدْر من الأمثلة لتكون نِبْراساً لغيرها وإلَّا فالقاعدة عند أَهل السُّنَّة والجماعة معروفة وهى إجراء آيات الصِّفات وأَحاديثها على ظاهرها من غير تَحْريف ولا تَعْطِيل ولا تَكْييف ولا تَمْثِيل .

وقد تقدَّم الكلام على هذا مستوفى فى قواعد نُصوص الصِّفات والحمد لله ربِّ العَالَمين .

الفصل الخامس

الخاتمة

إذا قال قائل : قد عرفنا بُطْلان مذهب أهل التَّأويل في باب الصِّفات ومن المعلوم أنَّ الأشاعرة من أهل التَّأويل لأكثر الصِّفات فكيف يكون مذهبهم باطلاً وقد قيل إنَّهُم يُمَثِّلون اليوم خمسة وتسعين بالمئة من المسلمين ؟

– وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري ؟

– وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنَّصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المُسْلمين وعامَّتِهم ؟

□ **قلنا : الجواب عن السُّؤال الأول** : أنَّنا لا نُسَلِّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدَّقيق .

ثمَّ لو سلمنا **أنَّهم** بهذا القَدْر أو أكثر فإنَّه لا يَقْتضِي عِصْمَتهم من الخطأ لأنَّ العِصْمَة في إجماع المسلمين لا في الأكثر .

ثمَّ نقول : إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التَّأويل فإن السَّلف الصَّالح من صدر هذه الأمة وهم الصَّحابة الذين هم خير القرون والتَّابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم كانوا مُجمِعِين على إثبات ما أثْبَتَهُ الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصِّفات وإجراء النُّصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولا تَعْطيل ولا تَكييف ولا تمْثِيل .

وهم خير القُرون بنصِّ الرَّسول ﷺ واجماعهم حُجَّة مُلْزمة لأنَّه مُقْتَضَى الكتاب والسُّنة وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرَّابعة من قواعد نصُوص الصِّفات .

***

□ **والجواب عن السُّؤال الثَّاني** : أنَّ أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لايدَّعون لأنفسهم العِصمة من الخطأ بل لم ينالوا الإمامة في الدِّين إلَّا حين عرفوا قَدر أنفسهم ونزلوها مَنْزلتها وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسُّنة ما اسْتَحَقُّوا به أن يكونوا أئمة قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون ﴾ [السجدة : ٢٤] وقال عن إبراهيم : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيم كَانَ أُمَّة قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم ﴾ [النحل : ١٢٠ ، ١٢١] .

ثمَّ إنَّ هؤلاء المتأخرين الذين يَنْتَسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي يَنْبَغي أن يكونوا عليه وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث فى العقيدة :

المرحلة الأولى – مرحلة الاعتزال : اعتنق مذهب المعتزلة أَرْبعين عاماً يُقَرِّره ويُناظر عليه ثمَّ رجع عنه وصرَّح بتضليل المعتزلة وبالغ في الرَّد عليهم(*) .

المرحلة الثانية : مرحلة بين الاعتزال المَحض والسُّنة المَحضة سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب(**) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ص (٤٧١) من المجلد السادس عشر من مجموع الفتاوى لابن قاسم :

« والأَشْعَرى وأَمْثَالُه بَرْزَخٌ بين السَّلف والجَهمية أَخَذُوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً ومن هؤلاء أُصُولاً عقلية ظَنُّوها صَحِيحة وهي فاسدة » أ هـ .

المرحلة الثالثة : مرحلة اعتناق مذهب أهل السُّنة والحديث مُقْتَدِيًا بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كما قَرَّره في كتابه : (الإبانة عن أصُول الديانة) وهو من آخر كتبه أو آخرها .

قال في مقدمته :

« جاءنا – يعني النَّبي ﷺ – بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

(*) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٢ جـ٤ .

(**) مجموع الفتاوى ص٥٥٦ جـ٥ .

خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد جمع فيه علم الأولين وأكمل به الفرائض والدِّين فهو صراط الله المستقيم وحبله المتين من تمسَّك به نجا ومن خالفه ضلَّ وغوى وفي الجهل تَرَدَّى وحث الله في كتابه على التمسك بسُنَّة رَسُوله ﷺ فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] إلى أن قال : « فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته ودعاهم إلى التمسك بسُنَّة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه فنبذ كثير ممن غلبت شقوته واستحوذ عليهم الشَّيطان سُنَنَ نبي الله ﷺ وراء ظُهُورهم وعَدَلُوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم ودانوا بديانتهم وأَبطَلُوا سُنَن رسول الله ﷺ ورفضوها وأنكروهاوجحدوها افتراءً منهم على الله قد ضلُّوا وما كانوا مُهتَدِين » .

ثُمَّ ذكر رحمه الله أصولاً من أُصول المُبْتَدعة وأشار إلى بطلانها ثم قال :

« فإن قال قائل : قد أَنْكَرْتُمْ قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون . قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التَّمسك بكتاب ربنا عزَّ وجلَّ وبسنَّة نبينا ﷺ وما روى عن الصَّحابة والتَّابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك مُعْتَصِمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نَضَّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مُجانبون لأنَّه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ثمَّ أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق وذكر ثبوت الصِّفات ومسائل في القدر والشَّفاعة وبعض السَّمْعيات وقرَّر ذلك بالأدلة النَّقْلية والعَقْلِيَّة .

والمتأخرون الَّذِين ينتسبون إليه أَخَذُوا بالمرحلة الثَّانية من مراحل عقيدته والتزموا طريق التَّأويل في عامَّة الصِّفات ولم يثبتوا إلا الصِّفات السَّبع المذكورة في هذا البيت :

حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ والْكَلَامُ لَـهُ ... إرَادَةٌ وَكَـذَاكَ السَّمْـعُ وَالْـبَصَرُ

على خلاف بينهم وبين أهل السُّنة في كَيْفيَّة إِثْبَاتِهَا .

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ما قيل في شأن الأشعرية ص (٣٥٩) من المجلد السَّادس من مجموع الفتاوى لابن قاسم قال :

« ومرادهم الأشعرية الَّذين ينفون الصِّفات الخبرية وأمَّا من قال منهم بكتاب (الإبانة) الذي صنَّفه الأشعَري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يُعَدُّ من أهل السُّنة » وقال قبل ذلك ص(٣١٠) : « وأمَّا الأشعَرية فعكس هؤلاء وقولهم يَسْتَلْزِم التَّعْطِيل وأنَّه لا داخل العالم ولا خارجه وكلامه معنى واحد ومعنى آية الكُرْسِي وآية الدَّين والتَّوراة والإنْجِيل واحد وهذا معلوم الفسَاد بالضَّرورة » أ . هـ .

وقال تلميذه ابن القيم في النُّونية ص (٣١٢) من شرح الهراس ط الإمام :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الـ طَّرِيق الْمُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

إلى أن قال :

فَاعْجَبْ لِعُمْيَانِ الْبَصَائِرِ أَبْصَرُوا كَوْنَ الْمُقَلِّدِ صَاحِبَ الْبُرْهَانِ
وَرَأَوْه بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سِوَا هُ بِغَيْرِ مَا بَصَرٍ وَلَا بُرْهَانِ
وَعَمُوا عنِ الْوَحْيَيْن إذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا عَجَباً لِذِي الْحِرْمَانِ

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ص (٣١٩) جـ٢ على تفسير آية استواء الله تعالى على عرشه التي في سورة الأعراف : «اعلم أنَّه غلط في هذا خَلْقٌ لا يُحْصى كثرة من المتأخرين فزعموا أنَّ الظَّاهر المتبادر السَّابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مُشابهة صفات الحوادث وقالوا يجب علينا أن نَصْرِفه عن ظاهره إجماعاً قال : ولا يخفي على أدْنَى.عاقل أنَّ حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه فى كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله تعالى والقول فيه بما لا يليق به جلَّ وعلا . والنبي ﷺ الذي قيل له : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] لم يبيِّن حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يُعْتَدُّ به من العلماء على أنَّه ﷺ لا يجوز في حقِّه تأخِير البيان عن وقت الحاجة إليه وأحْرَى في العقائد لا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضَّلال المبين حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أنَّ الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق والنَّبي ﷺ كتَم أنَّ ذلك الظاهر المتبادر كُفْر وضلال يجب صرف اللَّفظ عنه وكل هذا من تلقاء أنْفُسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة

سُبْحَانَكَ هذا بهتان عظيم ! ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضّلال ومن أعظم الافتراء على الله جلّ وعلا ورسوله ﷺ .

والحق الذي لا يشك فيه أدْنَى عاقل أنَّ كل وَصْف وَصَفَ الله به نفسه أو وَصَفَه به رسوله ﷺ فالظاهر المتبادر منه السَّابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التّنْزيه التّام عن مُشَابهة شيء من صفات الحوادث . قال : « وهل يُنْكر عاقل أن السَّابق إلى الفَهْم المُتَبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمَخْلُوق في ذاته وجميع صفاته لا والله لا يُنْكِرُ ذلك إلَّا مُكَابر والجاهل المفترى الّذي يزعم أن ظاهر آيات الصِّفات لا يليق بالله لأنه كفر وتَشْبيه إنَّما جر إليه ذلك تَنْجِيسُ قلبهُ بِقَذَرِ التَّشْبيه بين الخالق والمخلوق فأدَّاهُ شؤم التَّشْبيه إلى نفي صفات الله جلّ وعلا وعدم الإيمان بها مع أنَّه جلَّ وعَلاَ هو الذي وصف بها نفسه فكان هذا الجاهل مشبِّهاً أولاً ومعطلاً ثانيا فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء ولو كان قلبه عارفا بالله كما ينبغي مُعَظِّماً لله كما يَنْبَغِي طَاهراً من أقذار التّشبيه لكان المتبادر عنده السَّابق إلى فهمه أنَّ وَصْفَ الله تعالى بالغ من الكمال والجلال ما يَقْطَعُ أوهام علائق المُشابهة بينه وبين صفات المخلوقين فيكون قلبه مُسْتَعِداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسُّنَّة الصَّحيحة مع التَّنزيه التَّام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]»أ هـ كلامه رحمه الله .

والأَشْعرى أبو الحسن رحمه الله كان في آخر عمره على مذهب أهل السُّنة والحديث وهو إِثْبَات ما أَثْبَتَهُ الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تَحْرِيف ولا تَعْطِيل ولا تَكْيِيف ولا تَمْثِيل . ومَذْهَب الإنسان ما قاله أخيراً إذا صرح بحصر قوله فيه كما هي الحال في أبي الحسن كما يعلم من كلامه في الإبانة . وعلى هذا فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أَخِيراً وهو التزام مذهَب أهل الحديث والسُّنة لأَنَّه المذهب الصَّحِيح الواجب الاتباع الذي التزم به أَبو الحسن نَفسهُ .

❋❋❋

□**والجواب عن السؤال الثَّالث من وجهين :**

الأوَّل : أن الحق لا يُوزن بالرِّجال وإنَّما يُوزن الرِّجال بالحق هذا هو الميزان الصَّحيح وإنْ كان لمقام الرِّجال ومراتبهم أثَرٌ في قبول أقوالهم كما نَقْبَلُ خبر العدل ونتوقَّف في خبر الفاسق لكن ليس هذا هو الميزان في كل حال فإن الإنسان بَشَرٌ يَفُوته من كمال العلم وقوَّة الفهم ما يَفُوته فقد يكون الرجل دَيِّناً وذا خُلُقٍ ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفَهْم فَيَفُوته من الصَّواب بقدر ما حَصَل له من النقص والضعف أو يكون قد نشأ على طريق معين أو مذهب معين لا يكاد يعرف غيره فيظن أن الصواب منحصر فيه ونحو ذلك

الثاني : أنَّنا إذا قابلنا الرِّجال الَّذين على طريق الأشاعرة بالرِّجال الذين هم على طريق السَّلف وجدنا في هذه الطَّريق من هم أَجَلُّ وأَعْظَم وأَهْدَى وأقوم من الَّذين على طريق الأشاعرة فالأئمة الأربعة أصْحاب المذاهب المَتْبُوعة ليسوا على طريق الأشاعرة .

وإذَا ارتقيت إلى من فوقهم من التَّابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة .

وإذا عَلَوْتَ إلى عصر الصَّحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة فى أسماء الله تعالى وصفاته وغيرهما ممَّا خرج به الأشاعرة عن طريق السَّلف .

ونحن لا ننكر أنَّ لبعض العلماء المُنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام والذَّب عنه والعِنَاية بكتاب الله تعالى وبسُنَّة رسوله ﷺ رِوَايةً ودِرايةً والحرص على نَفْع المسلمين وهِدَايتهم ولكن هذا لا يَسْتَلزِم عِصْمَتهم من الخطأ فيما أَخْطَؤُوا فيه ولا قبول قولهم في كل ما قالوه ولا يَمْنَع من بيان خطئهم وَرَدِّه لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق .

ولا نُنْكر أيضا أنَّ لِبَعْضهم قصدا حسناً فيما ذهب إليه وخفي عليه الحق فيه ولكن لا يكفي لقبول القول حُسْنُ قَصْدِ قائله بل لا بد أن يكون موافقاً لشريعة الله عزَّ وجلَّ فإن كان مخالفاً لها وجب ردّه على قائله كائناً من كان لقول النَّبي ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه بهذا اللفظ : كتاب الأقضية : باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور =

ثُمَّ إن كان قائله معروفاً بالنَّصيحة والصِّدق في طلب الحق اعتذر عنه في هذه المخالفة وإلّا عُومِل بما يَسْتَحِقُّه بسوء قَصْده ومُخَالفته .

❋❋❋

حكم أهل التأويل

فإن قال قائل : هل تُكَفِّرون أهل التَّأويل أو تُفَسِّقُونهم ؟ .

قلنا : الحكم بالتَّكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسُّنَّة فيجب التَّثَبُّت فيه غاية التَّثبت فلا يُكَفَّر ولا يُفسَّق إلَّا من دل الكتاب والسُّنة على كُفْره أو فِسْقه .

والأَصل في المسلم الظَّاهر العدالة بَقاء إِسْلامه وبَقَاء عَدَالته حتى يتحقَّق زوال ذلك عنه بمُقْتَضَى الدَّليل الشَّرعي . ولا يجوز التَّساهل في تَكْفِيره أو تفسيقه لأَنَّ في ذلك محذورين عظيمين :

أحدهما : افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نَبَزه به .

الثاني : الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سَالِماً مِنْهُ ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « إِذَا كَفَّر الرَّجُلُ أَخاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا » . وفي رواية : « إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ »[1] وفيه عن أبي ذر

= (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضى الله عنها .
وعلّقه البخارى فى صحيحه (٤ / ٣٥٥) .
أما اللفظ المتفق عليه فهو : « مَنْ أَحْدَث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » .
أخرجه البخارى (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) (١٧) من حديث عائشة رضى الله عنها .

(١) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٦٠) (١١١) والرواية الأخرى التى أشار إليها الشيخ حفظه الله فهى عند مسلم أيضًا برقم (٦٠) (١١١) مكرر بلفظ : « أيما امرىء قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه » . وعند البخارى : كتاب الأدب : باب =

رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوّ الله وَلَيْس كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْه »[1] .

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المُسْلم بِكُفْرٍ أو فِسْقٍ أن ينظر في أمرين :

أحدهما : دلالة الكتاب أو السُّنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفِسْق .

الثاني : انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تَتِم شروط التَّكفير أو التَّفسيق في حقه وتَنْتَفِي الموانع .

ومن أهم الشُّروط : أَنْ يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أَنْ يكون كافراً أو فاسقا لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتبع غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾ [النساء : ١١٥] وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ الله لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتى يُبين لَهُمْ مَا يتَّقُون إنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمَوَات وَالْأَرض يُحْيِي وَيُمِيتُ ومَا لَكُمْ مِن دُونِ الله مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِير ﴾ [التوبة : ١١٥ ، ١١٦] .

ولهذا قال أهل العلم : « لا يَكْفُر جاحِد الفَرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يُبيّن له » .

ومن الموانع : أن يقع ما يوجب الكفر أو الفِسْق بغير إرادة منه ولذلك صور :

منهـا : أَنْ يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئنانا به فلا يكفر حينئذ لقوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بالله مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِه وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الله وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

= من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٦١٠٤) بدون قوله : « إن كان كما قال وإلا رجعت عليه » .
وفى الباب عن أبي هريرة وغيره .

(١) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم (٦١) (١١٢) .

ومنهـا : أنْ يغلق عليه فِكْرُهُ فلا يدري ما يقول لشِدَّة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك .

ودليله ما ثَبتَ في صحيح مسلم[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « للهُ أَشَدُّ فَرحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوب إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضطجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَة عِنْدَهُ فَأَخذَ بِخطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّة الْفَرحِ : اللَّهمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنا رَبُّكَ أَخطَأَ مِنْ شِدَّة الْفَرحِ » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص (١٨٠) جـ (١٢) مجموع الفتاوى لابن قاسم : « وأَمَّا التكفير فالصَّواب أن من اجتهد من أمَّة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يُغْفَرُ له خَطَؤُه ومن تَبيَّن له ما جاء به الرَّسول فشاق الرَّسُول من بعد ما تبيَّن له الهُدَى واتَّبَعَ غير سَبِيل المُؤمِنِين فهو كَافِرٌ ومن اتَّبع هواه وقصَّر في طلب الحق وتكلَّم بلا علم فهو عاصٍ مُذْنب ثم قد يكون فاسِقاً وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته » أ هـ .

وقال في ص (٢٢٩) جـ (٣) من المجموع المذكور في كلام له : « هذا مع أنِّي دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني أنِّي من أعظم النَّاس نهيا عن أن ينسب معين إلى تَكْفِير وتَفْسِيق ومَعْصية إلَّا إذا عُلِمَ أنه قد قامت عليه الحجة الرِّسالية التي من خالفها كان كَافِراً تارة وفاسقاً أُخرى وعَاصِياً أُخرى وأنِّي أُقرِّر أَنَّ الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العَمَلية . وما زال السَّلف يَتَنَازعُون في كثير من هذه المسَائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بِكُفْرٍ ولا بِفِسْقٍ ولا بِمَعْصية » وذكر أمثلة ثم قال : « وكنت أُبيِّن أن ما نقل عن السَّلف والأئمة من إطلاق القول بِتَكْفِير من يقول كذا وكذا فهو أيضا حق لكن يجب التَّفريق بين الإطلاق والتَّعيين » إلى أن قال : « والتَّكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل

(١) كتاب التوبة : باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٧) (٧) .

هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرَّجل لم يسمع تلك النُّصوص أَوْ سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أَوْجَبَ تأويلها وإنْ كان مُخْطِئاً وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين[1] في الرجل الذي قال : « إذَا أَنَا مِتُّ فأَحْرِقُوني ثم اسْحَقُونِي ثم ذَروني في اليم فَوالله لَئِن قَدَرَ الله عليّ لَيُعَذبني عَذَاباً ما عَذَّبه أَحَداً منَ العَالمِين ففعلوا به ذلكَ فقال الله : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قال : خَشيتُكَ فَغَفَرَ لَهُ » فهذا رجل شَكَّ في قدرة الله وفي إعَادته إذا ذري بل اعتقد أَنَّه لا يعاد وهذا كفر باتِّفاق المُسلمين لكن كان جاهِلاً لا يعلم ذلك وكان مُؤْمِناً يخاف الله أن يُعَاقبه فغفر له بذلك والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا » أ هـ .

وبهذا عُلِمَ الفرق بين القول والقائل وبين الفعل والفاعل فليس كل قول أو فعل يكون فسقاً أَوْ كفراً يُحْكَمُ على قائله أَوْ فاعله بذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص (١٦٥) جـ (٣٥) من مجموع الفتاوى :

« وأصل ذلك أنَّ المقالة التي هي كفر بالكتاب والسُّنة والإجماع يُقال هي كفر قولاً يطلق كما دلت على ذلك الدَّلائل الشَّرعية فإن الإيمان من الأحكام المُتَلَقَّاة عن الله وَرَسُوله ليس ذلك مما يحكم فيه النَّاس بظنُونهم وأهوائهم ولا يجب أن يحكم في كل شَخص قال ذلك بأَنه كافر حتى يَثْبُت في حقه شروط التَّكفير وتَنْتَفِي مَوَانعه مثل من قال: إنَّ الخمر أو الرِّبا حلال، لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاما أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن ولا أَنَّه من أَحَادِيث رَسُول الله ﷺ كما كان بعض السَّلف يُنْكِر أشياء حتى يَثْبُت عنده أنَّ النبي ﷺ قالها » إلى أن قال : « فإن هَؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجَّة بالرسالة كما قال الله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلناسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنِّسيان » أ هـ كلامه .

---

(١) البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى:﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ (٧٥٠٦) .
ومسلم : كتاب التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٦) (٢٤) .
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وبهذا عُلِمَ أَنَّ المقالة أو الفِعْلة قد تكون كفراً أَو فسقاً ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافراً أو فاسقاً إما لانتفاء شرط التَّكفير أو التَّفسيق أو وجود مانع شَرْعي يَمْنَع منه . ومن تبيَّن له الحق فأَصرَّ على مخالفته تبعاً لاعتقاد كان يعتقده أو متبوع كان يعظمه أو دنيا كان يؤثرها فإنه يستحق ما تَقْتَضِيه تلك المُخَالفَة من كُفْرٍ أو فسُوق .
فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى وسُنَّة رسُوله ﷺ فيجعلهما إماماً له يَسْتَضِيءُ بنورهما ويسير على مِنْهاجهما فإن ذلك هو الصِّراط المستقيم الذي أَمَر الله تعالى به في قوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفرقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وليحذر ما يَسْلُكه بعض النَّاس من كونه يبني مُعْتَقَده أَو عمله على مذهب مُعَيَّن فإذا رأى نُصُوص الكتاب والسُّنة على خلافه حاول صرف هذه النُّصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه مُتَعَسِّفَة فيجعل الكتاب والسُّنة تابعين لا مَتْبُوعين وما سواهما إِمَامَاً لا تَابِعاً وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى لا أتباع الهُدى وقد ذمَّ الله هذه الطَّريق في قوله : ﴿ وَلَو اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَات وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِن بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُون ﴾ [المؤمنون : ٧١]

والنَّاظر في مسالك النَّاس في هذا الباب يرى العجب العُجاب ويعرف شدة افتقاره إلى الُّلجوء إلى ربه في سؤال الهِداية والثَّبات على الحق والاستعاذة من الضَّلال والانحراف .

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بِغِنَى ربه عنه وافتقاره هو إلى ربه فهو حَرِى أن يَسْتَجيب الله تعالى له سؤله يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيب دَعْوَة الدَّاعِ إِذَا دَعَان فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فنسأَل الله تعالى أن يجعلنا ممن رأى الحق حقًّا واتَّبعه ورأى الباطل باطلاً واجتنبه وأن يجعلنا هداة مُهْتدين وصُلحاء مُصلحين وأَن لا يُزيغ قلوبنا بعد إِذْ هَدَانَا ويهب لنا منه رحمة إِنَّه هو الوهاب . والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصَّالحات والصَّلاة

والسَّلام على نبي الرَّحمة وهادي الأمة إلى صراط العزيز الحَمِيد بإذْن ربهم وعلى آله وأصحابه ومن تَبِعَهُم بإحسان إلى يوم الدِّين .

تمَّ في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٠٤ هـ

بقلم مُؤَلِّفه الفقير إلى الله

مُحَمَّد الصَّالح العُثَيْمِين

تعقيب

مَعِيَّةُ اللهِ تَعَالى لِخَلْقِهِ(*)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله نَحْمَده ونَسْتَعِينهُ ونَسْتَغفره ونَتُوب إليه ونَعُوذ بالله من شُرور أَنْفُسنا ومن سَيِّئات أَعْمَالِنَا من يَهْده الله فلا مُضل له ومن يُضلِل فلا هادي له وأَشْهَدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بِإِحْسَان وسلم تَسْلِيماً .

أما بعد :

فقد كُنَّا تَكَلَّمنا في بعض مَجَالسنا على معنى مَعِيَّة الله تعالى لخلقه ففهم بعض الناس من ذلك ما ليس بِمَقْصُود لنا ولا مُعتقد لنا فكثر سُؤَال النَّاس وتساؤلهم ماذا يقال في مَعِيَّة الله لخلقه ؟

وإِنَّنا :

أ – لِئَلا يَعْتَقد مُخطيء أو خاطيء في معية الله ما لا يليق به .

ب – ولِئَلا يَتقوَّل علينا مُتَقَوِّل ما لم نقله أو يَتَوَهَّم واهم فيما نقوله ما لم نقصده .

جـ – ولبيان معنى هذه الصِّفة العظيمة التي وصف الله بها نفسه في عدة آيات من القرآن ووصفه بها نبيه محمد ﷺ .

نُقَرِّر ما يأتي :

أولاً : مَعِيَّة الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسُّنة وإجماع السَّلف :

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُم ﴾ [الحديد : ٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الله مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِين هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] وقال تعالى لموسى

(*) نصُّ الكلمة التي نشرناها في مجلة الدَّعوة السعودية في عدد ٩١١ الصادر يوم الاثنين الموافق٤ /١ /١٤٠٤ هـ

وهارون حين أرسلهما إلى فرعون : ﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] وقال عن رسوله محمد ﷺ : ﴿ إِلَّا تنصرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَينِ إذ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] وقال النبي ﷺ : « أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الله مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْت »[1] حسَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية وضعفه بعض أهل العلم وسبق قريباً ما قاله الله تعالى عن نبيه من إثبات المعيَّة له .

وقد أجمع السَّلف على إثبات معيَّة الله تعالى لخلقه .

ثانيا : هذه المعية حقٌّ على حقيقتها لكنها معيةٌ تليق بالله تعالى ولا تُشبه مَعيَّة أي مخلوق لمخلوق :

لقوله تعالى عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] وكسائر صفاته الثَّابتة له حقيقة على وجه يليق به ولا تُشْبه صفات المخلوقين .

قال ابن عبد البر : « أهل السُّنة مجمعون على الصِّفات الواردة كلها في القُرْآن والسُّنة والإيمان بها وحَمْلِها على الحقِيقة لا على المجاز إلَّا أَنَّهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة » أ هـ . نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص (٨٧) من المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم .

---

(١) حَدِيثٌ ضَعِيفٌ : أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٦ / ١٢٤) والبيهقى فى الأَرْبَعُون الصُّغرى برقم (٢٤) من طريق نعيم بن حماد ثنا عثمان بن كثير بن دينار عن محمد بن مهاجر عن عروة عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ فذكره .

وقال أبو نعيم : « غريب من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر » أ .هـ .

وفى إسناده نعيم بن حماد صدوق يخطىء كثيراً . والحديث عزاه الهيثمى فى المجمع (١ /٦٠) للطبرانى فى الأوسط والكبير ثم قال : تفرد به عثمان بن كثير ولم أر من ذكره بثقةٍ ولا جرحٍ » . وعزاه السُّيوطى فى الجامع الصغير (١ /٤٩) للطبرانى وأبو نعيم أيضاً وضعفه وكذا ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١١٠٠) وأورده ابن رجب فى نور الاقتباس ص (٥٤) وعزاه للطبرانى .

وقال شيخ الإسلام في هذه الفتوى ص (١٠٢) من المجلد المذكور : « ولا يَحْسَبُ الحاسب أَنَّ شيئاً من ذلك – يعني مما جاء في الكتاب والسُّنَّة – يُناقض بعضه بعضا ألبتة مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسُّنة من أن الله فوق العرش يُخالفه الظاهر من قوله:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] وقوله ﷺ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَإِنَّ الله قِبَلَ وَجْهِهِ »[١] ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كُنَّا كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال[٢] : « وَالله فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُم عَلَيْهِ » وذلك أنَّ كلمة « مَعَ » في اللُّغة إذا أُطلِقت فليس ظاهرها في اللُّغة إلَّا المُقارنة المُطلقة من غير وجوب مُمَاسَّة أو مُحاذاة عن يمين أو شمال فإذا قُيِّدت بِمَعنى من المعاني دلَّت على المُقارنة في ذلك المعنى فإنَّه يقال : ما زلنا نسير والقمر مَعَنا أو والنَّجم معنا ويقال: هذا المَتَاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فَوْق عرشه حقيقة » أ هـ كلامه .

ثالثا : هذه المعية تقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقُدْرةً وسمعاً وبصرًا وسلطاناً وتدبيراً :

وغير ذلك من معاني رُبُوبيته إن كانت المعيَّة عامَّة لم تُخصَّ بشخص أَوْ وَصْف كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] .

فإن خُصَّتْ بِشَخْصٍ أَو وصفٍ اقتضت مع ذلك النَّصر والتَّأييد والتَّوفيق والتَّسْديد .

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ : تقدم تخريجه .
(٢) حَدِيثٌ ضَعِيفٌ : تقدم تخريجه .

* مثال المخصوصة بشخص : قوله تعالى لموسى وهارون : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] وقوله عن النّبي ﷺ : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

* ومثال المَخْصُوصة بوصف : قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] وأمثالها في القرآن كثيرة .

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص(١٠٣) من المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم قال : « ثم هذه المعيَّة تختلف أُحكامها بحسب الموارد فَلَمَّا قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنهَا ﴾ [الحديد : ٤] إلى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] دَلَّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومُقْتَضَاهَا أَنَّه مُطَّلِعٌ عليكم شهيد عليكم ومُهَيْمِن عالم بكم وهذا معنى قول السَّلف : إنَّه معهم بِعلمه ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . قال : ولما قال النَّبي ﷺ لصاحبه في الغار : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودَلَّت الحال على أنَّ حكم هذه المعيَّة هنا معيَّة الاطلاع و النَّصر والتَّأْييد وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] وكذلك قوله لموسى وهارون : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] هنا المعيَّة على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأْييد » .

إلى أن قال : « ففرق بين معنى المعية ومُقْتَضَاها وربما صار مقتضاها من مَعْناها فيختلف باختلاف المواضع » أ هـ .

● وقال محمد بن الموصلي في كتاب (اسْتعجال الصَّواعق المُرْسلة على الجهمية والمعطلة) لابن القيم في المثال التاسع ص (٤٠٩) ط الإمام : « وغاية ما تدلُّ عليه – مع – المُصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور وذا الاقْتران في كل موضع بحسبه ويلزمه لوازم بحسب متعلقه فإذا قيل : الله مع خلْقِه بطريق العُمُوم كان من لواز ذلك عِلْمهُ بهم وتَدْبيره لهم وقدرته عليهم وإذا كان ذلك خاصّاً كقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِين اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُون ﴾ [النحل : ١٢٨] كان من لوازم ذلك مَعِيَّته لهم بالنُّصرة

والتَّأييد والمَعُونة فمعية الله تعالى مع عبده نَوْعان عامَّة وخاصة وقد اشتمل القرآن على النَّوعين وليس ذلك بطريق الاشتراك اللَّفظى بل حقيقتها ما تقدم من الصُّحبة اللائقة » أ هـ .

● وذكر ابن رجب في شرح الحديث التَّاسع والعشرين من الأربعين النَّووية : « أَنَّ المعية الخاصة تَقْتَضِي النَّصر والتَّأييد والْحِفْظَ والإعَانة وأَنَّ العامَّة تَقْتَضِي عِلْمُه واطِّلاَعُه ومُراقبته لأَعْمَالِهم » .

● وقال ابن كثير في تفسير آية المعية في سورة المجادلة : « ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه المعية معيَّة عِلمُه قال : ولا شك في إرادة ذلك ولكن سَمْعُه أيضاً مع عِلْمه بهم وبَصَره نَافِذٌ فيهم فهو سُبْحَانه مُطَّلع على خَلْقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء » أ هـ .

رابعاً : هذه المعية لا تقتضي أن يكون الله تعالى مُختَلِطاً بالخلق أو حَالَّاً في أَمْكنَتِهم :

ولا تدل على ذلك بوجه من الوجوه لأن هذا معنى باطل مُسْتَحِيل على الله عزَّ وجلَّ ولا يمكن أن يكون معنى كلام الله ورسوله شَيْئاً مُسْتَحِيلاً بَاطِلاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص (١١٥) ط ثالثة من شرح محمد خليل الهراس : « وليس معنى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد : ٤] أنه مختلط بالخلق فَإِنَّ هذا لا تُوجبه الُّلغة بل القمر آية من آيات الله تعالى من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السَّماء وهو مع المُسَافر وغير المُسافر أَيْنَمَا كان » . أ هـ .

ولم يذهب إلى هذا المعنى الباطل إلَّا الحلُولية من قُدماء الجهمية وغيرهم الذين قالوا : إنَّ الله بِذَاته في كل مكان : تعالى الله عن قولهم عُلُوّاً كبيراً وكَبُرت كَلِمة تخرج من أَفواهِهم إنْ يَقُولُون إلَّا كَذِباً .

وقد أنكر قولهم هذا من أدركه من السَّلف والأئمة لما يلزم عليه من الَّلوازم الباطلة المُتَضمِّنة لوصفه بالنَّقائص وإنْكارِ عُلُوه على خلقه .

وكيف يمكن أن يقول قائل إنَّ الله تعالى بذاته في كل مكان أو أنَّه مختلط بالخلق وهو سبحانه قد ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّه السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُه يَوْم الْقِيَامَة وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِياتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

خامساً : هذه المعيَّة لا تُنَاقِضُ ما ثبت لله تعالى من عُلُوه على خلقه واستوائه على عرشه :

فإن الله تعالى قد ثبت له العُلُو المُطْلَق علو الذَّات وعلو الصِّفة قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقال تعالى : ﴿ سَبِّح اسْم رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] وقال تعالى : ﴿ وَلله الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم ﴾ [النحل : ٦٠] .

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسُّنة والإجماع والعقل والفطرة على علو الله تعالى .

● **أما أدلة الكتاب والسُّنة** : فلا تَكَادُ تُحْصر مثل قوله تعالى : ﴿ فَالْحُكْمُ لله الْعَلِي الْكَبِير ﴾ [غافر : ١٢] وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِر فَوْقَ عِبَادِه ﴾ [الأنعام : ١٨] وقوله : ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَنْ يُرسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ [الملك : ١٧] وقوله : ﴿ تَعْرجُ الْمَلَائِكَة وَالرُّوح إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] وقوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

ومثل قوله ﷺ : « أَلَا تَأْمَنُونِى وَأَنَا أَمِين مَنْ فِى السَّمَاء »[1].
وقوله : « وَالعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ وَالله فَوْقَ الْعَرْشِ »[2]. وقوله : « وَلَا يَصْعَدُ إِلَى الله إِلَّا

(١) **حديثٌ صَحِيحٌ** : تقدم تخريجه .

(٢) **صحيح موقوفاً** : الحديث بهذا اللفظ صَحَّ موقوفاً على حديث ابن مسعود رضى الله عنه وهو فى حكم المرفوع لأنه مما لا يقال بالرأى ومن الأمور الغيبية فأخرجه الطبرانى فى الكبير (٩ / ٢٢٨) وعثمان الدَّارمى فى الرد على الجهمية رقم (٨١) والنقض على المريسى ص (٧٣ ، ١٠٥) وابن خزيمة فى التوحيد رقم (١٤٩ ، ١٥٠) وأبو الشيخ فى العظمة (٢٧٩) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٤٠١) وابن عبد البر فى التمهيد (٧ / ١٣٩) وابن الطبرى فى السنة (٦٥٩) وابن قدامة فى إثبات صفة العلو برقم (٧٥) والذهبى فى العلو ص (٦٤) واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٥٩) من طرق عن عبد الله به .

الطَّيِّبُ »[1] . ومثل إشارته إلى السَّماء يوم عرفة يقول : « اللَّهُمَّ اشْهد »[2] . يعني على الصَّحابة حين أقروا أنه بلّغ .

ومثل إقراره الجارية حين سألها : أين الله ؟ قالت : في السَّماء قال : « اعتقها فإنَّها مُؤْمنة »[3] . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

● **وأمَّا الإجماع** : فقد نقل إجماع السَّلف على علو الله تعالى غير واحد من أهل العلم .

● **وأمَّا دلالة العقل** : على علو الله تعالى فلأنَّ العلو صفة كمال والسُّفول صفة نقص والله تعالى موصوف بالكمال مُنَزَّه عن النَّقْص .

● **وأمَّا دلالة الفطرة** : على علو الله تعالى فإنه ما من داع يدعو ربه إلَّا وجد من قلبه ضَرُورة بالإتجاه إلى العلو من غير دراسة كِتاب ولا تَعْلِيم مُعَلِّم .

وهذا العُلو الثَّابت لله تعالى بهذه الأدلة القطعية لا يُنَاقض حقيقة المعية وذلك من وجوه :

الأول : أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المُنَزَّه عن التَّناقُض ولو كانا

= وعزاه ابن القيم فى اجتماع الجيوش ص (١٠٠) لسنيد بن داود بإسناد صحيح وقال الذهبى فى العلو ص (١٠٣) : « رواه عبد الله بن أحمد فى السنة له وأبو بكر بن المنذر وأبو حمد العسَّال وأبو القاسم الطبرانى وأبو الشيخ وأبو القاسم اللالكائى وأبو عمرو الطلمنكى وأبو بكر البيهقى وأبو عمر بن عبد البر فى تواليفهم وإسناده صحيح » أهـ .

وجود إسناده الألبانى فى مختصره للعلو ص (١٠٤) .

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : وهو جزء من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعَدْل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا طيبا ... » الحديث . أخرجه بهذا اللفظ البخارى فى كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى:﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ : (٧٤٣) .

(٢) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : تقدم تخريجه .

(٣) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : تقدم تخريجه .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصر . مدينة الإسماعيلية غرة محرم ١٤١٠ هـ .

أشرف عبد المقصود عبد الرحيم عيسى محمد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مُتَنَاقِضَيْن لم يَجْمع القرآن بينهما .

وكل شيء في كتاب الله تعالى تَظُنُّ فيه التَّعارض فيما يبدو لك فأعد النَّظر فيه مرة بعد أخرى حتى يتبين لك .. قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ [النساء : ٨٢] .

الوجه الثاني : أنَّ اجتماع المَعيَّة والعلو ممكن في حق المخلوق فإنه يقال : ما زلنا نَسِيرُ والقمر مَعَنا ولا يُعَدُّ ذلك تَنَاقُضاً ومن المعلوم أن السَّائرين في الأرض والقمر في السَّماء فإذا كان هذا ممكنا في حق المخلوق فما بالك بالخالق المُحِيط بكل شيء . قال الشيخ محمد خليل الهراس ص (١١٥) فى شرحه العقيدة الواسطية عند قول المؤلف : « بل القمر آية من آيات الله تعالى من أصغر مخلوقاته وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان » قال : « وضَرب لذلك مثلاً بالقمر الذي هو موضوع في السَّماء وهو مع المسافر وغيره أينما كان قال : فإذا جاز هذا في القمر وهو من أصغر مخلوقات الله تعالى أفلا يجوز بالنِّسبة إلى اللَّطيف الخبير الذي أحاط بعباده علما وقُدْرَةً والذي هو شهيد مُطَّلع عليهم يَسْمَعهُم وَيَراهُم ويَعْلَمُ سِرَّهُمْ ونَجْواهم بل العالم كله سَمَواته وأرضه من العَرش إلى الفَرْش بين يديه كأنه بُنْدقة في يد أَحَدنا أفلا يَجُوز لمن هذا شَأْنُه أن يقال إنه مع خلقه مع كونه عالياً عليهم بائناً منهم فوق عَرْشه » أ هـ .

الوجه الثالث : أنَّ اجتماع العُلو والمَعِيَّة لو فُرِضَ أنَّه مُمْتَنِع في حق المَخْلوق لم يَلْزم أن يكون ممتنعاً في حق الخالق فإن الله لا يُماثِلُه شَيْء من خَلْقه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص (١١٦) ط ثالثة من شرح الهراس : « وما ذُكر في الكتاب والسُّنة من قُرْبه ومَعيَّته لا يُنَافي ما ذُكر من عُلوه وفَوْقيَّته فَإِنَّه سبْحانه لَيس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في جميع نُعُوته وهو عَلِيٌّ فِى دُنُوه قَرِيبٌ فى عُلوه » أ هـ .

○ **وخُلاصَة الْقَول في هذا الموضوع كما يلي :**

١ - أن مَعِيَّة الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسُّنة وإجماع السَّلف .

٢ – أنَّها حَقٌّ على حقيقتها على ما يليق بالله تعالى من غير أن تُشبه مَعِيَّة المخلوق للمخلوق .

٣ – أنها تقتضي إحاطة الله تعالى بالخلق عِلْماً وقُدْرة وسَمْعاً وبَصَراً وسُلْطَاناً وتَدْبيراً وغير ذلك من مَعَاني ربوبيته إن كانت المعية عامة وتقتضي مع ذلك نَصْراً وتأْييداً وَتَوفِيقاً وتَسْديداً إن كانت خاصَّة .

٤ – أنها لا تقتضي أن يكون الله تعالى مُخْتَلِطاً بالخلق أو حَالّاً في أمكنتهم ولا تدلُّ على ذلك بوجه من الوجوه .

٥ – إذا تدبرنا ما سبق علمنا أنَّه لا مُنَافاة بين كون الله تعالى مع خَلقِه حَقِيقَةً وكونه في السَّماء على عَرشه حقِيقةً . سُبْحَانَهُ وبحمده لا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَثْنى على نَفْسه . وصَلَّى الله وسلم على عَبْده وَرَسوله محمّد وعلى آله وصَحْبه أجمعين .

حرَّره الفقير إلى الله تعالى :

مُحَمَّد الصَّالح العُثَيمين في ٢٧ /١١ /١٤٠٣ هـ .

***

الفهارس العامة

١ – فهرس الأحاديث والآثار

* * *

٢ - فهرس الموضوعات

الفصل الثالث : قواعد في أدِلَّة الأسماء والصِّفات ٣٩

الفصل الرابع : شبهات والجواب عنها

تعقيب : معية الله تعالى لخلقه

***

رقم الايداع : ٤٨٧٤ / ١٩٩٤
طبع بدار **نوبار** للطباعة

صدر عن مكتبة السنة بالقاهرة

شرح لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

لمؤلفه الشيخ

للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

« صاحب المغني »

المتوفى سنة ٧٤٢ هـ

حققه ، وخرج أحاديثه

أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم